" لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية ! "

العدد 13

ناظم الماوي

مواقف " يسارية " مناهضة للماركسية .

إنّنا نؤكّد بأنّ الماوية مرحلة جديدة فى تطور الماركسية – اللينينية و بدون الدفاع عن الماركسية - اللينينية - الماوية و بدون البناء على هذه القاعدة يستحيل الإنتصار على التحريفية و الإمبريالية و الرجعية عموما.

(" بيان الحركة الأممية الثورية " لسنة 1984).

" لقد منيت اشتراكية ما قبل الماركسية بالهزيمة . وهي تواصل النضال ، لا فى ميدانها الخاص ، بل فى ميدان الماركسية العام، بوصفها نزعة تحريفية...
- ان ما يجعل التحريفية أمرا محتما ، انما هي جذورها الطبقية فى المجتمع المعاصر . فإن النزعة التحريفية ظاهرة عالمية...
- ان نضال الماركسية الثورية الفكرى ضد النزعة التحريفية ، فى أواخر القرن التاسع عشر ، ليس سوى مقدمة للمعارك الثورية الكبيرة التى ستخوضها البروليتاريا السائرة الى الأمام ، نحو انتصار قضيتها التام..."

(لينين- الماركسية و النزعة التحريفية-)

" إنّ لكلمة برنشتاين المجنّحة :" الهدف النهائي ليس بشيء ، الحركة هي كلّ شيء " ، تعبّر عن طبيعة النزعة التحريفية خيرًا من عدد كبير من الشروحات المستفيضة . أن يحدّد المرء سلوكه تبعًا لأحداث الساعة ، لتغيرات الأمور السياسية الطفيفة ، أن ينسى مصالح البروليتاريا الجذرية و الميزات الجوهرية لمجمل النظام الرأسمالي و لكلّ التطوّر الرأسمالي ، أن يضحّي بهذه المصالح من أجل منافع وقتية ، فعلية أو مفترضة : تلك هي خطوط السياسة التحريفية ."

(لينين- الماركسية و النزعة التحريفية-)

" إن وجهة النظر الديمقراطية الشكلية هي بالضبط وجهة نظر الديمقراطي البرجوازي الذى لا يقبل بأن تعلوها مصالح البروليتاريا و النضال الطبقي البروليتاري ".

(لينين - الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي-)

" التحريفية أو الإنتهازية اليمينية ، هي تيّار إيديولوجي برجوازي أشدّ خطرا من الجمود العقائدي. إنّ المحرفين أي الإنتهازيين اليمنيين ، يتشدّقون بالماركسية و هم أيضا يهاجمون " الجمود العقائدي" . و لكن ما يهاجمونه إنّما هو بالضبط خلاصة الماركسية . إنّهم يعارضون المادية و الديالكتيك أو يشوهونهما ...".

(ماو تسي تونغ ،" حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب"؛ 27 فبراير 1957)

مقدّمة العدد 13 :

من ضمن ما بلغنا من تعليقات على كتاباتنا سؤال أثارته قارئة : لماذا ينصبّ إهتمامكم على فضح اليسار بدرجة أكبر بكثير من إهتمامك بفضح اليمين ؟

و نستغلّ هذه الفرصة للإجابة على هذا السؤال الهام إجابة تحمل شقّين فى شقّها الأوّل نقول إنّ خطّ نشرية " لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية ! " واضح جلي منذ عددها الأوّل أي أن توجّهها الأساسي و الجوهري هو المساهمة فى إيجاد حركة شيوعية ثورية ماوية فى تباين لا غبار عليه مع كافة أصناف مدّعي الشيوعية و بالتالي ماديّا جدليّا للتعريف بالشيوعية الثورية الماوية و نقيضها داخل الحركة الشيوعية يتعيّن عرضها فى مقارنة بتحريفات الماركسيين المزيفين و إستعمالها لنقد أطروحات هؤلاء كيما يحصل التمايز كأفضل ما يكون لدى المناضلات و المناضلين و الجماهير الشعبية الواسعة . و إعتبارا لأنّ السائد فى الحركة الشيوعية قطريّا و عربيّا (و عالميا أيضا) هي ألوان من التحريفية و الدغمائية ، وجب دحضها و تبيان صحّة الماوية و هذا يتطلّب مجدّدا تطبيق جدلية الهدم و البناء بمعنى لكي تسود الشيوعية الثورية الماوية ينبغى إلحاق الهزيمة إلى هذا الحدّ أو ذاك جزئيّا أو كلّيا بالتحريفية بجميع ضروبها . إنّها معركة حياة أو موت ، معركة من يلتهم من و المقصود هو أساسا الأفكار : هل ستسود الأفكار الشيوعية الثورية أم الأفكار التحريفية الإصلاحية أو كما وضع ذلك لينين فى " ما العمل؟"،" إمّا إيديولوجيا بروليتارية و إمّا إيديولوجيا برجوازية " . وهي معركة أبعد عن أن تكون مفتعلة و إنما هي معركة ضرورية ، لا مفرّ منها ، قائمة موضوعيّا و إن كنّا نحن نخوضها بشكل مفتوح ، مباشرة و بمبدئية و دون أقنعة فغيرنا يخوضها بشتّى الطرق الملتوية و غير المبدئية التى لا تمتّ بصلة للمبادئ و الأخلاق الشيوعية .

و نلفت نظر من يريد تناسي الهجمات المسعورة ضد الماوية منذ ستينات القرن العشرين إلى يومنا هذا أنّ آلاف الصفحات حبّرت شرقا و غربا و شمالا و جنوبا لتشويه الشيوعية الماوية أي علم الثورة البروليتارية العالمية ، الماركسية - اللينينية – الماوية الدائم التطوّر، سواء من طرف تحريفيين و دغمائيين محلّين أو من العالم . و الكتب و المقالات التى لا تحصى و تعدّ القديمة منها و الجديدة المناهضة للماوية تنهض شاهدا على ذلك.

هذا هو الشقّ الأوّل من الإجابة أمّا الشقّ الثاني فيتعلّق بمفهوم اليسار و اليمين . ففى الحقيقة منذ العدد الأوّل من هذه النشرية صرحنا بأنّ " القلب على " اليسار " و " اليسار " على اليمين" تعبيرا مركّزا منّا على أن منظمات و مجموعات و أحزاب " اليسار " فى القطر و عربيا فى غالبيتها تسلك سياسات يمينية و بهذا المعنى هي تمثّل التحريفية بما هي إنتهازية يمينية و ماركسية مزيفة لا تخدم الثورة البروليتارية العالمية و إنّما غايتها إصلاح الأنظمة العميلة القائمة و دول الإستعمار الجديد ، دول الكمبرادور و الإقطاع المتحالفين مع الإمبريالية العالمية و تأبيد الوضع السائد . " اليسار " اليميني لا يحرّر البروليتاريا و الإنسانية من كافة ألوان الإستغلال و الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي بل يساهم

فى تأبيدها و من هنا وجب الكفاح بلا هوادة ، صراحة و بمبدئية ضدّه و ترسيخ الشيوعية الحقيقية فى صفوف الثوريين و الثوريات و الجماهير الشعبية الباحثين فعلا عن تغيير هذا العالم تغييرا ثوريّا لا مجرّد إصلاح ما أمكن إصلاحه خدمة للطبقات و الأنظمة و الدول الإستغلالية و الإضطهادية السائدة .

و نردف إجابتنا هذه بملاحظتين إثنتين أولاهما أنّنا فى الواقع ساهمنا فى الكفاح النظري ضد اليمين الديني و اليمين الليبرالي فى مقالات تضمنتها أعداد سابقة من هذه النشرية ؛ و ثانيهما أنّ نشريتنا هذه إختارت لنفسها خطّا معيّنا وبؤرة تركيز معينة فنضالنا على الجبهة النظرية يتكامل مع نضالات الرفيقات و الرفاق الماويين الآخرين على الجبهات النظرية و السياسية و الإقتصادية و الثقافية إلخ . و من هنا إذا نظرنا فى المشهد فى شموليته ، نلفى الشيوعيين الماويين يكافحون على جميع الجبهات و إن بدرجات متفاوتة حسب الظروف الموضوعية و الذاتية .

و فى هذا العدد 13 من نشريتنا ، ستطالعون مقالات خمسة خصّصت لنقد مواقف " اليسار" الإنتهازية من أحداث بالغة الأهمية قطريّا و عالميّا ، عناوينها هي التالية :

1- **ملاحظات حول بيانات فرق " اليسار" فى تونس بمناسبة غرّة ماي 2012**

2- **تونس – سليانة : الموقف التحريفي المخزي لبعض فرق " اليسار" من العنف الجماهيري.**

3- **إلغاء الإضراب العام بتونس : قتلتنا الردّة إتّحاد الشغل يحمل فى داخله ضدّه !**

4- **إغتيال شكرى بلعيد : إكرام الشهيد و فضح الأوهام الديمقراطية البرجوازية .**

5- **هوغو تشفيز و بؤس " اليسار " الإصلاحي .**

و ستلمسون لمس اليد إلى أي مدي تذهب التحريفية ضد المصالح الجوهرية للبروليتاريا العالمية و الجماهير الشعبية و كيف أنّ الإصلاحيين مع أشكالهم يتحدوا مثلما الطيور على أشكالها تقع و ستدركون أكثر أنّه " لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية !"

أفريل 2013

1- ملاحظات حول بيانات فرق " اليسار" فى تونس بمناسبة غرّة ماي 2012

قبل أيّام ، نشرنا " ملاحظات حول بيان الوطنيين الديمقراطيين " الوطد" بمناسبة غرّة ماي 2012" و اليوم نواصل مشروع الملاحظات النقدية لبيانات المنظمات و الأحزاب " اليسارية " فى تونس . و لتفادي التكرار سنسوق، بهذه المناسبة و بسرعة ، ملاحظات نخص بها أهمّ المسائل و أبرزها و من يتطلّع إلى التعمّق فى القضايا المطروحة ، عليه بمقالات سابقة لنا و لرفاق ماويين آخرين متوفّرة على موقع الحوار المتمدّن. و لأنّنا لا نبغى بتاتا التجريح فى الأشخاص، نلتزم بالتركيز على نقاش الأفكار لدفع الصراع النظري كيما تحتل النظرية المكانة التى تستحق فى إيجاد الحركة الثورية و لمزيد توضيح الخطّ الإيديولوجي و السياسي الشيوعي الثوري حقّا فى تناقض مع جميع أشكال التحريفية و الإصلاحية التى يروّج لها الشيوعيون المزيفون، التحريفيون.

1- عن بيان العصيان – هيئات العمل الثوري ، أفريل 2012:

بادئ ذى بدء ، نرصد فى هذا البيان حديثا عن " سلطة رأس المال" دون تمييز بين رأس المال الإمبريالي فى البلدان الرأسمالية – الإمبريالية و رأس المال الكمبرادوري / البيروقراطي فى المستعمرات و أشباه المستعمرات . و القضية ليست هيّنة إذ تعكس قراءة تجافى الحقيقة وواقع النظام

الإمبريالي العالمي و عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية ؛ قراءة تروتسكية يرفع منطقها شعار الثورة الإشتراكية فى النوعين من البلدان و لا يفقه شيئا من أن التناقضات المختلفة من حيث الطبيعة تعالج بطرق مختلفة كما علّمنا ماو تسى تونغ إنطلاقا من الواقع المادي و من موقف بروليتاري و منهج علمي مادي جدلي.

ثمّ إنّ أصحاب هذا البيان ، مثلهم مثل بقية " اليساريين" الإصلاحيين و اليمينيين بشتى ألوانهم ، يتمادون فى تضليل الشعب و خداعه مدّعين حصول " ثورة الشغل و الحرّية و الكرامة " فى حين أنّ ما حصل لا يعدو أن يكون إنتفاضة. و لترسيخ كلمة عصيان فى صفوف القراء يعيدونها مرارا فى بيانهم و يعيدون كتابة التاريخ مقحمينها إقحاما فى صياغة من مثل"إنطلاق العصيان الإجتماعي يوم 17 ديسمبر 2010". و بطبيعة الحال كسائر " اليسار" الإصلاحي يدعون إلى " إستكمال الثورة من جديد تحت شعار إسقاط النظام" ووسيلتهم فى ذلك هي إنشاء " هيئات عمل ثوري"" فى قطيعة مع اشكال التنظيم الحزبية و النقابية البيروقراطية و الهرمية المغلقة إيديولوجيّا و سياسيّا ". و فى محاولة لإقناع القراء يصدر عنهم رأي مفاده أنّ هيئاتهم المقترحة هي " السبيل الوحيد الذى أبدعته الجماهير الثائرة ذاتها ". وفى هذا التأكيد مبالغة حتى لا نقول كذب يسفّهه الواقع فى غالبية أنحاء البلاد.

و الحقّ يقال تقتضى أطروحاتهم هذه نقاشا جدّيا قد يستغرق عشرات الصفحات ليس هذا مجاله لذلك نكتفى هنا بالإشارة إلى أنّ هذا المشروع يحدّد نفسه ضد النظام القائم و لا يقدّم مشروعا طبقيّا محدّدا و بالتالي فى الهيئات المقترحة سيتمّ صراع محتدم من أجل هيمنة خطّ يقود ، أحبّ من أحبّ و كره من كره ، سيكون على الأرجح خطّا برجوازيّا و التجارب التاريخية و الراهنة تدلّل على ذلك. و إزاء هذه الأطروحات المجالسية ، نثير سؤال : تاريخيّا أين نجحت ثورة بروليتارية حقيقية دون قيادة حزب بروليتاري ثوري؟ و الإجابة بسيطة لم نشاهدها فى أي مكان على كوكبنا. و مثلما قال ماو تسى تونغ : " يجب أن يكون هناك حزب ثوري ما دمنا نريد الثورة " (ماو تسي تونغ، " يا قوى العالم الثورية ، إتحدي و قاومي العدوان الإمبريالي" – نوفمبر – تشرين الثاني – 1948 ، المؤلفات المختارة المجلّد الرابع؛ صفحة 1 و2 من " مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ).

<u>2- عن بيان " الحزب الإشتراكي اليساري" :</u>

يتميز هذا البيان بأمرين إثنين هما :

أ- لا علاقة له بالأممية البروليتارية أصلا و بالعالم و ما يجرى فيه فقد ركّز كلّ مضمون البيان على القطر لا غير ما يأكّد من جديد أنّ هذا الحزب لا يملك من " الإشتراكية " غير الإسم للمغالطة . إنّه حزب رأسمالي يميني على حدّ وصف البعض له.

ب- هو الوحيد الذى يتوجّه " بالتحية لأعضاء المجلس التأسيسي الذين تجمعوا على مقربة من تمثال إبن خلدون و توجّهوا على وزارة الداخلية لإبلاغ موقف المعارضة. بهذا يشدّد على إلتزامه بهذا المجلس المهزلة و بحكومته التى نقدها نقدا طفيفا دون إدانة العنف الذى تستعمله ضد التحركات الشعبية ، و طلاقه التام مع تطلعات شعبنا و مطالبه.

هدفه هو " الحوار الوطني" و " التوافق الوطني" من أجل " المنوال الإجتماعي التضامني الذى تلعب فيه الدولة دورا رئيسيا " و عليه ، نتساءل -1- ما الذى يبقى مناضلين و مناضلات يدّعون تبنّى الشيوعية بشكل ما ضمن هكذا حزب سوى العلاقات الشخصية و التاريخية خاصة مع فضح عناصر عملت معهم للقيادة المتبرجزة فكرا وممارسة ؟ و -2- لماذا لم يلتحق بعد هذا الحزب بحركة التجديد التى لا يختلف عنها نوعيّا ؟

3- عن بيان حزب العمّال " الشيوعي" التونسي :

لكم بات يثير الإشمئزاز كون هذا الحزب ما إنفكّ يتحدّث عن ثورة لم تحصل فى الواقع و يدعو إلى إستكمالها لأنّها " تتوقّف عند منتصف الطريق"! و الحال أن مناضليه و مناضلاته نالوا مع آخرين من عصى قمع الحكومة ما نالوا وهو يصرّح بأنّه ليس ضد حكومة النهضة. و كم بات يثير الإشمئزاز كون هذا الحزب الذى يسمّى نفسه زورا و بهتانا " شيوعي " يضع هدفا له " إقامة مجتمع جديد عادل" هلامي و فى نهاية المطاف برجوازي قولا و فعلا ، لا صلة له بالثورة البروليتارية العالمية و بالشيوعية .

و يمضى بيان حزب العمّال ، فى نفس سياق خطابه البرجوازي الإصلاحي ، فى التركيز على مفردة الدكتاتورية فيدعو إلى " تصفية الأسس الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية للدكتاتورية و إرساء قواعد نظام ديمقراطي يحقق فى ظلّه مطالبه الإجتماعية و الوطنية التى رفعها خلال الثورة ".

يخلط هذا الفهم البرجوازي عن قصد بين الدكتاتورية و الديمقراطية من جهة و بين الديمقراطية البرجوازية و الديمقراطية البروليتارية من جهة أخرى. بإختصار الحقيقة هي أنّ كل دولة ماركسيّا آلة قمع طبقية ، جهاز قمع طبقي يسهر فى المجتمع الرأسمالي ، فى نفس الوقت على الديمقراطية للطبقة أو الطبقات الحاكمة و يمارس الدكتاتورية على الطبقات المضطهَدَة و المستغَلّة . الديمقراطية و الدكتاتورية وجهان لعملة واحدة سواء تعلّق الأمر بالديمقراطية / الدكتاتورية البرجوازية أم بالديمقراطية / الدكتاتورية البروليتارية التى تمارس الديمقراطية فى صفوف الشعب و الدكتاتورية على البرجوازية و أعداء الشعب.

و من المفيد لدحض الترهات البرجوازية الإصلاحية لهذا الحزب الدغمائي التحريفي الخوجي بشأن الديمقراطية غير الطبقية ،أن نذكّر من جديد بقول لينين :" من الواضح أنّه ، طالما هناك طبقات متمايزة، - و طالما لم نسخر من الحسّ السليم و التاريخ ، - لا يمكن التحدث عن " الديمقراطية الخالصة" ، بل عن الديمقراطية الطبقية فقط (و نقول بين هلالين إنّ " الديمقراطية الخالصة " ليست فقط صيغة جاهلة تنمّ عن عدم فهم لنضال الطبقات و لجوهر الدولة على حدّ سواء ، بل هي أيضا صيغة جوفاء و لا أجوف ، لأنّ الديمقراطية ، ستضمحلّ ، إذ تتطوّر فى المجتمع الشيوعي و تتحوّل إلى عادة ، لكنّها لن تصبح أبدا ديمقراطية " خالصة")". (الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي"،دار التقدّم ،موسكو 1977، الصفحة 18).

و بما هو حزب إصلاحي أصلا لا يدعو إلى الثورة البروليتارية العالمية بتيّاريها ، و إنّما يقتصر على خدمة الدولة القائمة و تقديم النصح للحكّام لإصلاحها و تندرج الجملة التالية فى هذا الإطار :" من أجل وضع برنامج عاجل مشترك للتصدّى للأزمة الخانقة التى باتت تتخبّط فيها البلاد ".

4- عن البيان المشترك بين حزب العمل الوطني الديمقراطي و حركة الوطنيون الديمقراطيون :

مثل بقية بيانات الإصلاحيين ناشري الأوهام البرجوازية ، ينخرط هذا البيان فى توصيف ما حدث فى تونس على أنّه " ثورة " و على أنّ ما يجرى " مسار ثوري" و أنّه يتعيّن " مواصلة النضال من أجل تحقيق أهداف الثورة ". و فى سياق التحلّي ب" المسؤولية" تجاه دولة الإستعمار الجديد و العمل فى إطارها و خدمتها ، يعتبر البيان أنّ نضالات الجماهير الشعبية تمّت " بأسلوب مدني ديمقراطي سلمي جماهيري..." و هذا محض كذب. هل كانت الصدامات الدموية ليل نهار بالحجارة و الهراوة ... ديمقراطية و سلمية ؟ هل قابلت الجماهير قتل مئات الشهداء بنضالات سلمية و ديمقراطية ؟ يبدو أنّ هؤلاء الوطنيين الديمقراطيين جدّا جدّا الذين جعلوا من جيش دولة الإستعمار الجديد جيشا وطنيّا و من برنامج السبسي برنامجهم ، لم يكونوا بساحات المعارك العنيفة و أنّ العمى أصابهم و لم يشاهدوا معارك

9 أفريل بتونس و المعارك اليومية للجماهير فى أكثر من مدينة من الجنوب. و إن لم ترتق هذه المقاومة إلى المقاومة المسلّحة المنظّمة فهي عنيفة بأشكل متنوّعة.

و ببساطة يقولبون الواقع ليدخلوه عنوة فى زجاجة اعدّوها له فيتبرّؤون من العنف الذى مارسته الجماهير و مارسه و أحيانا نظّمه المناضلون و المناضلات لفرض الحق فى التظاهر و حرية التعبير و التنديد بالنظام و رفع مطالب و التصدّى أيضا للعنف الرجعي الذى بلغ حدّ القتل.إنّهم يغالطون الجماهير ذاتها بالكذب و التزوير.

و فى تناقض صارخ مع لينين و اللينينية ، يخرجون علينا مجدّدا بطبخة " الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية " التى لا علاقة لها بالثورة البروليتارية العالمية بتيّاريها و بالتالي هي تعبير تضليلي آخر غريب عن الماركسية يضاف إلى الترسانة الإيديولوجية و السياسية فى خدمة دولة الإستعمار الجديد.

وفى نهاية البيان نعثر على تعبير جديد ضمن جملة أريد بها ربط الطبقة العاملة ب" الثورة الوطنية الديمقراطية " التى لم يتمّ الحديث عنها فى ما سبق من البيان، ألا هو " طليعة صدامية للثورة الوطنية الديمقراطية ".

يبذل الشيوعيون و الشيوعيات قصاري الجهد لتأسيس حزب الطبقة العاملة لكي يتمكّن من قيادتها وقيادة حلفائها من الطبقات و الفئات الشعبية فى إنجاز الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية. و عند ربطنا التعبير الجديد بالطرق " السلمية و الديمقراطية " التى مرّت بنا ، نفهم ما المقصود فى الواقع من هذه الجملة . فالصدامية لا تعنى قيادة ثورة عنيفة بالضرورة كعملية قلب طبقة لطبقة عبر حرب أهلية تطيح بالدولة القديمة و جيشها و ترسي دولة جديدة عمودها الفقري جيش جديد.

إنّ هذا البيان يرفع راية الثورة الوطنية الديمقراطية طعما لجلب وطنيين ديمقراطيين إليهم من ناحية و من ناحية ثانية لتهدئة البعض داخلهم من المتمسّكين شيئا ما بالتاريخ بينما فى الواقع أضحى أصحاب البيان بعيدين غاية البعد بل مرتدّين عن الطرح الوطني الديمقراطي الحقيقي ، الثوري و هدفهم الواضح الجلي هو " الجمهورية الديمقراطية الإجتماعية " فى ظلّ الدولة القائمة لا غير.

و تجدر الإشارة فى الأخير إلى أنّ بيان" حركة الوطنيون الديمقراطيون" بفرنسا و المتنكّر تماما للأممية البروليتارية ، يتضارب فى نقطتين مع البيان المشترك الذى ننقد ففى البيان المشترك نقرأ " يا عمّال العالم و شعوبه و أممه المضطهَدَة إتحدوا " وفى البيان الصادر بفرنسا لا نجد سوى " يا عمّال العالم إتحدوا!". و نلمس فى البيان الصادر بفرنسا دعوة " كافة القوى التقدّمية و الديمقراطية لمقاطعة حزب النهضة و حلفائه و لقطع كافة العلاقات السياسية مع الحكومة المؤقتة" فهل يتفق معهم الجماعة فى تونس؟

<u>5- - بيان الوطنيون الديمقراطيون الماركسيون اللينينيون :</u>

إفتتح النصّ بجملة " إنّ العنف المميّز لكلّ أنظمة الحكم البرجوازي الرجعية و الأنظمة العميلة لها ..." تتضمّن خطأين إثنين. أوّلا، المقصود هو الأنظمة الإمبريالية و كان من الأفضل إستخدام الإمبريالية أو البرجوازية الإمبريالية لأنّ الحكم البرجوازي يحيل على مرحلة الرأسمالية ما قبل الإمبريالية كمرحلة عليا فى تطوّر الرأسمالية. و ثانيا، لا تتميّز كلّ الأنظمة الإمبريالية و الرجعية و فى كلّ الأوقات بالعنف تجاه الجماهير الكادحة بل هي تشتري ذمم من أسماهم لينين الأرستقراطية العمالية ، و العنف سياسة و هو إمتداد للسياسة تلجأ إليه بدرجات و فى أوقات معيّنة و ضد فئات و طبقات معيّنة تمارس ضدّها

الدكتاتورية [و أحيانا حتى ضد فئة من الطبقات الحاكمة]عندما لا تفلح المآمرات السياسية و الحملات الإعلامية ، فى حين تمارس الديمقراطية صلب الطبقات الحاكمة.

إلى جانب هذين الخطأين ، ثمّة لدى أصحاب هذا البيان وهم إمكانية تطوّر الأحداث و إنجاز ثورة فى الظروف الحالية الموضوعية منها و الذاتية و عبر الإنتفاضة: " ...منع تطوّر الأحداث فى البلاد و فى إتجاه مسار ثوري ينتهي ب [الأفضل " إلى "] إسقاط نظام حكم العمالة و إقامة نظام حكم يخدم مصلحة العمال و الفلاحين الفقراء و عامة الكادحين و المفقرين من شعبنا."

و يعنى هذا إنجاز ثورة وطنية ديمقراطية / ديمقراطية جديدة دون حرب الشعب. فهل يمكن حدوث هذا فى غياب حزب شيوعي ثوري و فى غياب الجبهة الوطنية الديمقراطية و فى غياب الجيش الشعبي فى بلاد شبه مستعمرة شبه إقطاعية . غير ممكن ، وهم لا أكثر مثلما يثبت ذلك التاريخ و وقائع الصراع الطبقي راهنا عبر العالم.

يقول ماو تسى تونغ : " حزب قويّ النظام مسلّح بالنظرية الماركسية- اللينينية، [الآن الماركسية- اللينينية- الماوية] يستخدم أسلوب النقد الذاتي و يرتبط بجماهير الشعب ، وجيش يقوده مثل هذا الحزب ، و جبهة متحدة تضمّ مختلف الطبقات الثورية و الجماعات الثورية و يقودها مثل هذا الحزب – هذه هي الأسلحة الرئيسية الثلاثة التى ننتصر بها على العدوّ" ("الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية " 30 يونيو- حزيران- 1949 ؛ المؤلّفات المختارة ، المجلّد الرابع؛ و الصفحة 3 من " مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ"). "

و من الشعارات الواردة فى نهاية البيان شعار " عاشت نضالات حركات التحرّر الوطني من أجل تحرير المستعمرات و أشباهها " وهو شعار يقتضى منّا أن نعلّق عليه فنقول إنّ الأصحّ هو " حركات التحرّر الوطني الديمقراطي " أي الثورات الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية بقيادة شيوعية ثورية كتيّار من تياري الثورة البروليتارية العالمية و التيّار الآخر الذى لم يشر إليه البيان هو تيّار الثورة الإشتراكية (و ليس من أجل إنعتاقها ! بصيغة مائعة) فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية.

-6- عن بيان " الشيوعيين الماويين فى تونس":

رغم المقالات الكثيرة المنشورة على الأنترنت قصد توضيح الخطّ الإيديولوجي و السياسي الشيوعي الثوري الماوي وإنارة طريق الممارسة الثورية و دحض التحريفية و الإصلاحية ، يتشبّث صاحب أو أصحاب هذا البيان بإعتبار أنّ الإنتفاضة مستمرّة فى تونس . إنّهم لم يفتحوا عيونهم بعد على حقيقة أنّها قد إنتهت و أنّ النضالات الحالية لا يمكن تصنيفها ضمن" سيرورة ثورية " يرغبون فى " تطويرها ". بمثالية يردّدون القراءات التحريفية و الإصلاحية التى تكذّبها الوقائع العنيدة من حولنا.

وبمثالية أيضا نراهم يصرّحون بأنّ " الأزمات و الحروب لن تولد غير الثورة بإعتبارها السبيل الأوحد لحلّ المشاكل الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية ". و يكمن المشكل فى الصيغة الحصرية فالأزمات قد ولّدت فى السابق و تولّد الآن هجوما على الطبقات الشعبية و سعي لحل الأزمات على حسابها و قد ولّدت فى السابق و تولّد الآن مزيدا من القمع و اللجوء إلى التعويل على القوى الظلامية و الفاشية لإسكات صوت الجماهير الشعبية ، و قد ولّدت فى السابق و تولّد الآن حروبا ضيقة قد تتسع رقعتها. و من الأكيد أنّه لدي الإمبريالية و الرجعية راهنا مجالات و إمكانيات لحلّ أزماتها دون أن تفقد السلطة لصالح البروليتاريا و دون ان تندلع ثورات لا سيما فى غياب الأحزاب الثورية و الحركات الثورية حقّا أو فى حال ضعفها.

و الثورة لا تنشأ عفويّا . الإنتفاضات و التمرّدات الشعبية يمكن أن تندلع عفويّا كردّ فعل على الأوضاع المزرية على الأصعدة المختلفة لكنّها لن تخرج عن إطار الدول القائمة و بمستطاع الطبقات الحاكمة الإلتفاف عليها بطرق شتى. أمّا الإنتفاضة المسلّحة كفنّ يفضى إلى الثورة عبر الحرب الأهلية فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية و الثورة عبر حرب الشعب فى المستعمرات و أشباه المستعمرات ، فتتطلّبان وجوبا عواملا موضوعية و ذاتية – وضع ثوري لينينيّا.

وفى المستعمرات و أشباه المستعمرات حيث يوجد عموما بشكل متموّج وضع ثوري ، لن تندلع الثورة عفويّا والتمرّدات و الإنتفاضات العفوية من اليسير على الطبقات الحاكمة المتحالفة مع الإمبريالية الإلتفاف عليها . و الثورة الديمقراطية الجديدة/ الوطنية الديمقراطية ، الثورة الحقيقة بقيادة ماوية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية تحتاج إلى الأسلحة السحرية الثلاثة التى أنف و أن أشرنا إليها فى مقولة ماو تسى تونغ ألا وهي الحزب الشيوعي الماوي و الجيش الشعبي و و جبهة الطبقات الثورية التى تبنى فى خضمّ حرب الشعب .

و ممّا لا يرقي إليه شكّ أنّ جملة " إنعدام وجود أدوات الثورة الأساسية فكلّما تنظّم العمّال فى أحزاب ثورية [و ليس حزب شيوعي ثوري فى كلّ بلد] و الشعوب [و ليس طبقات الشعب] فى جبهات كفاحية متراصة الصفوف إلاّ و إقتربت ساعة الإنتصار على الإمبريالية و أعوانها. " تحرّف مضمون مقولة ماو تسى تونغ إيّاها لغايات إنتهازية فى نفس يعقوب . فهل يكست من صدر البيان بإسمهم على مثل هذه الإنحرافات و التحريفيات ؟

2- تونس – سليانة : الموقف التحريفي المخزي لبعض فرق " اليسار" من العنف الجماهيري.

(ديسمبر 2012)

" فهل رأي هؤلاء السادة ثورة فى يوم ما ؟ إنّ الثورة هي دون شكّ سلطة ما بعدها سلطة ، الثورة هي عمل يفرض به قسم من السكّان إرادته على القسم الآخر بالبنادق ، بالحراب ، بالمدافع ، أي بوسائل لا يعلو سلطانها سلطان ."

(لينين :" الدولة و الثورة " ، الطبعة العربية لدار التقدّم موسكو ، الصفحة 66).

" ليست الثورة مأدبة و لا كتابة مقال و لا رسم صورة و لا تطريز ثوب ، فلا يمكن أن تكون بمثل تلك اللباقة و الوداعة و الرقة ، أو ذلك الهدوء و اللطف و الأدب و التسامح و ضبط النفس . إن الثورة إنتفاضة و عمل عنف تلجأ إليه إحدى الطبقات للإطاحة بطبقة أخرى . "

(ماو تسى تونغ : " تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خونان " مارس – آذار 1927، المجلد الأول من مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " ، الصفحة 12-13 ، باللغة العربية).

يأتى تمرّد جماهير شعبنا بسليانة ضد الحكومة الرجعية و ممثّلها بالجهة الوالي و مواصلة سياسات تهميش المنطقة و التلاعب بمطالب الأهالي ، حلقة فى سلسلة تمرّد عدّة جهات على السلط المحلّية و المركزية من سيدى بوزيد إلى قفصة و قابس مرورا بجبنيانة و القصرين... و نحن نعاين و ندرس عن كثب الأحداث و نسعى جهدنا للتأثير فى مجرياتها قدر الإمكان و بشتّى الطرق و الوسائل إنتصارا لجماهير شعبنا و خدمة

لها ، تابعنا ليلة الخميس 29 نوفمبر 2012الحوار التلفزي الذى نظّمته قناة التونسية و شارك فيه حمّه الهمّامي . و لأنّ هذا الأخير يقدّم نفسه على أنّه " ماركسي" و لأنّنا نطبّق فى هذه المرحلة بالذات شعار مزيد الوضوح الإيديولوجي و السياسي فى صفوف " الحركة الشيوعية " فى القطر و عربيّا ، فإنّ كلامه هو الذى إسترعي إنتباهنا و إستوقفنا و حملنا على إبداء الملاحظات النقدية الآتي ذكرها :

1- حمه الهمّامي : ماركسى ثوري أم رجل مطافئ إصلاحي ؟

أكيد أنّ حمه الهمّامي تميّز فى نهاية الحلقة بتشديده على أنّ ما أتته قوات قمع دولة الإستعمار الجديد " جريمة " وهو توصيف صحيح و موقف بلا شكّ يحسب له إلاّ أن هذا التشهير بهذه الجريمة فى حقّ جماهير شعبنا إصطدمت بالمنطق التحريفي و الإصلاحي للناطق الرسمي بإسم حزب العمال التونسي و بإسم الجبهة الشعبية بمعنى أنّ حمه الهمامي صرّح فى معرض كلامه عن زيارته لسليانة و عن مسألة العنف أنّه نصح الجماهير بعدم اللجوء إلى العنف و حذّرها من أنّه يعود عليها بالوبال. و هذا ليس من الماركسية ولا من الماركسية – اللينينية ولا من الماركسية - اللينينية- الماوية طبعا فى شيء. إنّه بهذا الموقف يشوّه الماركسية أيّما تشويه و يصبّ الماء البارد على رؤوس الجماهير التى يريد أن يغرس فيها نبذ العنف و إتباع الطريق السلمي اللذان يتبنّاهما هو وحزبه و حزمة من المنظّمات و الأحزاب " اليسارية " الأخرى ، فى تضارب تام مع المبادئ الأساسية للماركسية (و لنا عودة للمسألة).

ماذا يفيد كلام حمه الهمّامي هذا ؟ إنّه يسعى للعب الدور الموكول له من قبل دولة الإستعمار الجديد مقابل العمل القانوني ، دور رجال المطافئ فعوض الدفع نحو تنظيم العنف الجماهيري ضد عنف / دكتاتورية دولة الإستعمار الجديد و النهضة و أضرابها الرجعي ، يعمل على تجريد الجماهير من سلاح الدفاع عن النفس و عوض تطوير العنف الجماهيري العفوي ليصبح عنفا جماهيريا منظّما و ثوريّا ، يستهدف إعادة عقارب الساعة إلى الوراء و نزع حتى الحجارة من أيدى الجماهير و تركها عزلاء فى وجه عنف / دكتاتورية دولة الإستعمار الجديد التى على هذا النحو يقدّم لها هذا الإصلاحي و أشياعه و من لفّ لفّه أجلّ الخدمات.

وفق المنطق الإصلاحي الخادم لدولة الطبقات السائدة الكمبرادورو الإقطاع المتحالف مع الإمبريالية العالمية ، فى كلّ الحالات على الجماهير أن تلتزم النضال السلمي و إن تعرّضت لأشدّ صنوف العنف و الإرهاب ؛ و إن جرى الإعتداء على الأطفال و النساء و الشيوخ و المنازل و الأحياء و فقأت الأعين و جرح الأبناء و البنات بالهراوات والرصاص. الركوع و الخضوع و السجود أمام دكتاتورية الدولة الرجعية ، هذا كنه الطريق السلمي لحمه و أشكاله ، طريق التحريفيين الخروتشوفيين و طريق غاندي و ليس طريق ماركس و لينين و ماو .

و يقوم منطق الإصلاحيين على نقطة محورية بصدد العنف مفادها ان الدولة الرجعية وحدها هي التى يجب أن تحتكر العنف الذى يطلقون عليه العنف الشرعي أي إنّهم لا يقبلون بدكتاتورية الدولة الرجعية وحسب بل يلغون حقّ الجماهير فى الدفاع عن نفسها و بالطبع هم ضد حقّ الجماهير فى الثورة و تحطيم الدولة الرجعية برمّتها تحطيما عنيفا فيقضوا على دكتاتورية الطبقات الحاكمة و يرسون دكتاتورية شعبية بقيادة الطبقة العاملة ...و بصيغة أخرى أبسط يقسّمون بنظرة برجوازية تحريفية الأدوار كما يلى : للجماهير حقّ إستعمال النضال السلمي - إن إستطاعت إليه سبيلا- و من حقّ الدولة الرجعية أن تحتكر العنف و أن تهرب الشعب و تقترف المجازر ضدّه و ليس له أن يلجأ إلى العنف.

هذا من ناحية أولى أمّا من الناحية الثانية ، فبشكل أو آخر ، يؤدّى منطق الملتزمين بقوانين دولة الإستعمار الجديد إلى إدانة مباشرة أو غير مباشرة للعنف الذى عمدت إليه الجماهير دفاعا عن نفسها و هكذا يدين حنه الهمّامي بصريح العبارة " الجريمة " و فى نفس الوقت بصورة ملتوية للعاملين فى إطار ديمقراطية / دكتاتورية دولة الإستعمار الجديد ، يدين إستعمال الجماهير للعنف الأدنى حاليّا فما بالك بالإدانة التى ستصدر عن حمه و أشكاله لو كان العنف عنفا ثوريّا منظّما.

2- باطل يا حزب موحّد باطل !

والشيء نفسه يمكن قوله بشأن الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد و بيانه الذى يعلن :

" إن حزب الوطد الموحد يساند جميع الإحتجاجات السلمية و المدنية لشعبنا في كل مكان من قطرنا العزيز ونخص بالذكر إحتجاجات أهالينا بسليانة.

إن حزب الوطد لطالما ندد بالعنف ودعا دوما إلى انتهاج الطرق السلمية و المدنية في المطالبة بالحقوق."

و بهكذا موقف لا يجرى التمييز بين عنف دكتاتورية / ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد غير العادل ، إن أمكن القول ، و عنف الجماهير فى الدفاع عن نفسها العادل و الشرعي و تكون النتيجة ذات المنطق الذى يقود حمه الهمّامي فى إدانة الطرفين على حدّ السواء.

فى الواقع ، قوات قمع دولة الإستعمار الجديد قوات معتدية بكلّ معنى الكلمة تستعمل العنف الدكتاتوري الرجعي وزبشكل مفرط هدفها السياسي منه سحق الجماهير و إهانتها و النيل من معنويّاتها وتركيعها لتقبل بوضع العبودية أمّا عنف الجماهير حاليّا فهو دفاع شرعي عن النفس و الأهل و الحيّ و هدفه هو و الإحتجاجات و التمرّد هو بعض الإصلاحات و المطالب الجزئية التى لا ريب فى مشروعيتها و بالتالي هو عنف ينبغى سماندته و دعمه و على الشوعيين الحقيقيين السعي لا إلى تنظيمه فحسب بل إلى الإرتقاء به و بوعي الجماهير الممارسة له نحو السياسات الثورية.

الحزب الموحّد لكونه جوهريّا أبعد ما يكون عن الماركسية الحقيقية لا يحلّل العنف من منطلق طبقي فى مجتمع طبقي مثلما لا يحلّل الديمقراطية و الدكتاتورية طبقيّا و فى النهاية نلفيه يدعم ديمقراطية / دكتاتورية دولة الإستعمار الجديد و عنفها الرجعي ضد الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية و دكتاتورية / ديمقرطية البروليتاريا و ضد العنف الجماهيري الدفاعي و الثوري.

و من هنا خزي و عار على الماركسيين المزيفين أن لا يفرّقوا بين العنف فى الحالتين و يخلطوا الحابل بالنابل خدمة للمضطهِدين ضد المضطهَدين ثمّ يتشدّقون بالماركسية – اللينينية و بالوقوف إلى جانب طبقات الشعب و فئاته. إنّه ماركسيّون مزيفون ، تحريفيون إصلاحيون يقدّمون أجلّ الخدمات لتأبيد دولة الإستعمار الجديد و إستغلال و إضطهاد الشعب.

3- باطل يا حزب - الوطد- باطل !

ويخرج علينا الحزب الوطني الإشتراكي الثوري- الوطد- ببيان مأرّخ فى 29 نوفمبر 2012 ليعرب عن موقفه و ميزته منذ العنوان هي المثالية الذاتية فهو يتحدّث عن " النضال الثوري" للجماهير و عن" المدّ الثوري " و " أروع لوحات النضال الثوري " (ماذا سيقول لو رفعت الجماهير السلاح فى حرب شعبية بقيادة شيوعية لإنجاز الثورة الوطنية الديمقراطية و أطاحت بالسلطة الدولة فى قرية أو جهة ؟؟؟) فى حين أنّ طبيعة النضال المخاض و سياساته وغاياته ليست ثورية و إنّما هي مطلبية إصلاحية .

يكشف لنا كلام "الوطد" هذا عن إعتبارهم أشكال النضال من مسيرات و إعتصامات أروع لوحات النضال الثوري و أرقاها و بالتالى تملّصهم من حرب الشعب التى كانوا فى نصوص قديمة يذكرونها فلو كانت هذه الأشكال أروع ما هناك فماذا عن الكفاح المسلّح أرقى أشكال النضال فى نصوص تاريخية قديمة ؟

بمثالية يرى " الوطد" الأشياء حيث لا توجد و بإستعماله نعت الثوري يعتقد أنّ النضال النخاض سيصير كذلك و الحال أنّه بوضوح و جلاء مطلبي إصلاحي لا غير. فما يطالب به و بإلحاح و يتشبّث به أهالي سليانة فى غالبيتهم هو إقالة الوالي أي إصلاح لأجل " الحوار" كما تكرّر ذكر ذلك لدي المتحدّثين بإسمهم.

إنّهم يرفعون مطلب تعيين والي جديد يتعامل معهم بشيء من المرونة و الإيجابية و لا يتجاهلهم و مطالبهم . و هذا مطلب مشروع و يستحقّ كلّ الدعم و المساندة و لكن من المغالاة " اليسراوية" و المثالية تحويله إلى نضال ثوري إذ أنّ النضال الثوري يجرى وفق سياسات ثورية و مشروع ثوري و بقيادة ثورية و الحركة الثورية تحتاج إلى نظرية ثورية و هذا غير متوفّر فى تمرّد سليانة .

و هذا لا يعنى التقليص من أهمّية التمرّد و شعاراته المناوئة للحكومة ، و لا إستهانة به غير أنّ الإقرار بالحقيقة الموضوعية فى حدّ ذاته تفسير سليم و صائب للعالم يسمح للثوريين بتغييره بنضالاتهم و جهودهم أمّا الأوهام و القراءات المثالية الذاتية فلن تفعل لأصحابها سوى مغالطة النفس و الجري وراء السراب و تدفع بهم نحو مزيد الإغتراب عن واقع الصراع الطبقي و المهام الحقيقية الملقاة على عاتق الشيوعيين الحقيقيين.

و هذا المنهج " الوطدي " الغريب عن الماركسية و المادية الجدلية متجذّر لدي الجماعة و منذ عقود و قد سبق لهم أن صرخوا فى عدّة مناسبات بأنّ ما حدث فى تونس بين ديسمبر 2010 و جانفي 2011 "ثورة " قبل أن يتراجعوا عن ذلك تحت ضغط الصراع النظري مع الماويين و ضغط وقائع الصراع الطبقي ، اللذان أثبتا بما لا يدع مجالا للشكّ تهافت المنهج "الوطدي" المنافي للشيوعية.

4- الشيء من مأتاه لا يستغرب !

تلك المواقف المتعارضة مع الجوهر الثوري للشيوعية الحقيقية لم نستغربها من تلك الأطراف ذلك أن الشيء من مأتاه لا يستغرب فحمّة الهمّامي و حزبه حزب العمال " الشيوعي" التونسي الذى صار منذ أشهر الآن حزب العمّال التونسي صديقا حميما للنهضة ، الحزب الحاكم الأساسي فى تحالف الترويكا و قد سبق وأن بيّض وجه النهضة هو ونجيب الشابي و غيرهما بإدعاء أنّها طرف ديمقراطي تحالف معه فى إطار " 18 أكتوبر" . هذا علاوة على أنّ حمه قد أفصح قبل أشهر أنّه ليس ضد حكومة النهضة إلخ.

حزب العمّال منذ نشأته حزب إصلاحي سعي للعمل فى إطار قانون دولة الإستعمار الجديد و الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد أمينه العام كال المديح لجيش دولة الإستعمار الجديد فى تصريح علني شهير.

و فضلا عن هذا ، يشدّد هذان الحزبان فى قراءتهما للإنتفاضة الشعبية فى تونس ديسمبر 2010 – جانفي 2011 التى يعدّونه زورا و بهتانا "ثورة" ، على أنّها تمّت سلميّا و يبذلون قصاري جهدهم لحجب كافة ألوان العنف التى مارستها ديمقراطية / دكتاتورية الدولة الرجعية و الذى راح ضحيتها مئات القتلى و الجرحى و العنف البسيط جدّا الذى مارسته الجماهير للدفاع عن نفسها و كردّ فعل على ضروب لا تحصى من الإهانات و التنكيل و القتل. و يصبّون جهدهمفى قولبة الأحداث حسب القوالب التى يلزمهم بها فكرهم التحريفي و الإصلاحي و العمل القانوني فبنفعية تطعن فى القلب المادية الجدلية ينكرون الواقع لا بل يشوّهونه التشويه كلّه لمصلحة دولة الإستعمار الجديد.

نعم مارست الجماهير العنف البسيط نوعا ما و الذى لم يرتق إلى العنف المسلّح المنظّم و لا زالت عفويّا تمارسه كردّ فعل على القمع الهمجي و المنهجي و المنظّم لحكومة النهضة و حلفائها و إرهاب ديمقراطية / دكتاتورية الدولة الرجعية . نعم تعرّضت جماهير شعبنا و تتعرّض لإرهاب دولة الإستعمار الجديد و من حقّها و من واجبها كي لا تنحدر إلى العيش كالعبيد أن تدافع عن نفسها و من واجب الشيوعيين و الثوريين الإرتقاء باشكال نضال الجماهير و تنظيمها وصولا إلى الكفاح المسلّح الثوري المنظّم أرقى أشكال النضال .

يريد هؤلاء الماركسيون المزيفون من جماهيرنا الشعبية أن لا تلجأ إلى العنف ما يجعلنا نستحضر أبيات شعر لمظفّر النواب فى قصيدة " وتريات ليلية" و لا نذكر لكم منها سوى ".... هل تسكت مغتصبة ؟ " و نترك لكم إستحضار أو مطالعة ما قبل ذلك و ما بعده. يا حزب العمّال ، يا حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد : هل تسكت مغتصبة ؟

إنّ خطاب هذان الحزبان و غيرهما من المجموعات الماركسية المزيفة خطاب يتوخّى الإزدواجية و حقيقة هنا ضلال هناك حيث قبل أيّام كانا يعلون تحيّة المقاومة و المقاومة المسلّحة فى غزّة لإعتداءات الكيان الصهيوني و يعترفون بحقّ الجماهير الشعبية هناك فى أن تستخدم العنف و العنف المنظّم غير أنّهم فى القطر ينكرون عليها هذا الحقّ فى مواجهة إرهاب دولة الإستعمار الجديد (و إن لم يرتق فى سليانة-تونس إلى العنف المنظّم) و يقفون ضد العنف بالمطلق و كأنّنا فى مجتمع لا طبقي و الدولة ليست جهاز قمع طبقة (أو طبقات) لطبقة (أو طبقات أخرى) و كأنّنا على كوكب آخر ليس كوكب الأرض . فيالهم من تحريفيين مخادعين!

5- المطالب بالنضال السلمي و العنيف أيضا ! :

يكفى النظر إلى واقع الصراع الطبقي محلّيا وقوميّا و عالميّا ، دون نظّارات تحريفية و إصلاحية برجوازية ، لنتبيّن أنّه أثبت مئات بل آلاف المرّات أنّ المطالب (و لسنا ضد الإصلاحات غير أنّنا على هدي لينين نستغلّ الإصلاحات و نناضل من أجلها بهدف التقدّم بالنضال الثوري مثلما شرحنا فى أكثر من وثيقة ومنها العدد الأوّل من " لا حركة شيوعية ثورية دون ماوية ! ") بالنضال وحسبنا هنا أن نذكّر بأمثلة ثلاثة أولها مآل جانب من قضية المرأة التونسية فى الدستور الجديد المزمع صياغته من قبل المجلس التأسيسي فقد حاولت النهضة و من لفّ لفّها تمرير إعتبار المرأة مكمّلا للرجل و لم يقع إسقاط المشروع إلاّ بتعبئة الجماهير و النضال فى الشوارع و الصدام أحيانا مع مليشيات الحكومة وقوات القمع . و لئن كان المظهر الرئيسي للنضال فى تلك المعركة سلميّا نوعا ما فقد تخلّله إستعمال للعنف بصنوف شتّى هنا و هناك أساسا من طرف الرجعية.

و المثال الثاني هو معركة فتح شارع الحبيب بورقيبة فى العاصمة أمام المسيرات و الإحتجاجات حيث فى هذه المرّة ، كان العنف يوم 9 أفريل 2012 هو المظهر الرئيسي فى المعارك التى شهدتها شوارع العاصمة و قد واجهت الجماهير العنف الرجعي بالعنف الجماهيري بأشكاله الدنيا. و هذا النضال بمظهريه السلمي و العنيف هو الذى أجبر حكومة النظام العميل اللاوطني و اللاديمقراطي و اللاشعبي على التراجع .

و ثالثا ، فى سليانة ، هل كان الوالي ليرحل إن إكتفت الجماهير بالنضال السلمي و قبلت بدكتاتورية دولة الإستعمار الجديد و عنفها و قمعها ؟ لا، ما كان المطلب ليتحقّق فى هذا الظرف و رئيس الحكومة أعلن تمسّكه الشديد به . هل كانت قوات القمع لتجبر على إتخاذ موقع الدفاع و عدم دخول الأحياء الشعبية لولا مقاومة جماهير شعبنا - و نقولها بصوت عالى و نشدّد عليها -العنيفة بأدنى الوسائل المتاحة للمحاولات الفعلية لتوغّل هذه القوّات القمعية فى الأحياء لتنتهك المنازل و تتلف ما يطيب لها إتلافه و تروع من عنّ لها ترويعه و تنكّل بمن يحلو لها التنكيل به... و تسوق فى النهاية أفواجا من الشباب خاصة إلى السجون ؟

لولا هذه المقاومة البطولية لوجدنا الأحياء خرابا و مئات الشباب فى غياهب السجون مثلما حصل عند هجوم قوات قمع دولة الإستعمار الجديد على أحياء فى عدّة جهات. وحينها سيتمّ اللجوء إلى المحاكم التى هي الأخرى تتحكّم فيها الحكومة الرجعية ، فى غياب إستقلالية القضاء ، فيقف شبابنا المنتفض ليحاكمه الخصم و الحكم و النتيجة بديهية !

لو إلتزمت الجماهير بنصيحة حمه الهمّامي و أضرابه من الإصلاحيين خدم دولة الإستعمار الجديد و دعوته لتجنّب العنف و التهدئة و ما إلى ذلك ، لوجدت نفسها تحت الحذاء الغليظ للحكومة الرجعية العميلة و قواتها القمعية و حينها بماذا سيفيدها التحريفيون من أمثال حمه الهمّامي ؟ باللجوء إلى القضاء و من جديد وضعها تحت رحمة الخصم و الحكم . إنّ التحريفيين يريدون وضع الجماهير الشعبية فى دائرة مفرغة و على الدوام بين أيدي و تحت سلطة دولة الإستعمار الجديد بصورة أو أخرى و هنا يجهضون الإعداد للثورة الحقيقية التى تستدعي عامة و بصفة شاملة من ضمن ما تستدعيه إستعمال الجماهير الشعبية للعنف المنظّم ضد الدولة القديمة برمّتها :

" إنّ الإستيلاء على السلطة بواسطة القوة المسلّحة ، و حسم الأمر عن طريق الحرب ، هو المهمّة المركزية للثورة و شكلها الأسمى . و هذا المبدأ الماركسي- اللينيني المتعلّق بالثورة صالح بصورة مطلقة ، للصين و لغيرها من الأقطار على حدّ السواء ".

(ماو تسى تونغ " قضايا الحرب و الإستراتيجية " نوفمبر- تشرين الثاني 1938؛ المؤلفات المختارة ، المجلّد الثاني)

و نخلص إلى أنّه ليس بماركسي من ينكر الواقع المادي و دروسه ، ليس ماركسي من يقدّم نصائحا لخداع الشعب و تركيعه ، ليس بماركسي من يرى النضال السلمي و لا يرى النضال العنيف ؛ و أيضا ليس بماركسي من لا يجتهد لتنظيم العنف الجماهيري و الإرتقاء به و بوعي المناضلات و المناضلين و الطبقات الشعبية بأفق إنجاز الثورة المطلوبة شيوعيّا !

6- جدلية النضال السلمي و النضال العنيف :

النضال السلمي و النضال العنيف وحدة أضداد / تناقض ، لا وجود للواحد دون الآخر و الواحد يتحوّل إلى الآخر. و قد شهدنا ذلك فى مناسبات لا تحصى و لا تعدّ على أرض واقع الصراع الطبقي . فعشرات المسيرات إنطلقت سلمية رئيسيا ، مع عنف لفظي يعبّر عن جوارح المتظاهرين الساخطين على حكومة مصاصي دماء الشعب و مضطهديه و من جانب قوات القمع و مليشيات النهضة ، كان الردّ فى بداية العديد منها رئيسيّا سلميّا ، مع إهانات لفظية و تهديدات كلامية لتتحوّل المظاهرات بعد ذلك إلى مواجهات عنيفة و دامية غالبا بسبب التدخّل العنيف لقوّات القمع و المليشيات . و ما حدث فى 9 أفريل 2011 بالعاصمة و ما جدّ و يجدّ فى سليانة فى الوقت الحالي و غيرهما من الأمثلة دليل قاطع على ما نذهب إليه.

و قد بيّن التحليل الملموس للواقع الملموس أنّ من النضالات السلمية ما يفتح الباب على النضالات العنيفة و العكس بالعكس أي أن النضالات العنيفة تعبّد الطريق للنضالات السلمية . و نضرب مثالا أوّلا على ذلك . لقد عبّدت المقاومة العنيفة يوم 9 أفريل 2011 بالعاصمة و المقاومة العنيفة فى الأحياء الشعبية بسليانة الطريق لتعبئة تحرّكات إحتجاجية شعبية شارك فيها الآلاف و الآلاف و فرضت فرضا على الجهاز القمعي . و هكذا إفتكّت الجماهير الشعبية و مناضليها و مناضلاتها حقوقها و دافعت عنها و لم تنتظر أن تمنحها إيّاها أيّة جهة كانت.

و نضرب مثالا ثانيا من العالم الأرحب . إنّ رفاقنا الشيوعيين الماويين فى الهند و هم يقودون حرب الشعب الماوية هناك و ينظّمون صفوف الجماهير الشعبية و يواجهون العنف الرجعي بالعنف الثوري المنظّم الذى يسترشد بالنظرية الثورية (الماركسية – اللينينية – الماوية) و يكرّس سياسات ثوريّة لغايات ثورية حقّا ،هي الإطاحة العنيفة بالدولة القديمة و تشييد دولة جديدة ، دولة الديمقراطية الجديدة ، دولة الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية بقيادة البروليتاريا الممهّدة للثورة الإشتراكية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية ، ينظّمون نضالات سلمية فى المدن و القرى لوحدهم أو ضمن عمل جبهوي و هم حسب قواتهم الذاتية و الواقع الموضوعي يحمونها و يدافعون عنها بالسلاح إن لزم الأمر . و إلى جانب ذلك يقومون بعمليّات عسكرية مدروسة الأهداف السياسية لسحق أعداء الثورة فيطلقوا العنان للجماهير فى عدّة مناطق لا لتواصل النضال سلميّا وحسب و إنّما أيضا لتبني القوّة اللازمة لحمايتها من هجمات مجرمي دولة الإستعمار الجديد و لتشييد دولة جديدة تخوّل للجماهير الشعبية التحكّم فى مصيرها بقيادة الشيوعيين الماويين الذين إستوعبوا و جعلوا الطبقات الشعبية تدرك أنه " بدون جيش شعبي لن يكون هناك شيء للشعب " – ماو تسى تونغ .

و نستقى المثال الثالث من تركيا حيث عبر الشبكة العنكبوتية ، عالميّا (و فى اليوتيوب لمن يريد العودة إلى الفيديوهات) شاهدنا مسيرات نظّمها الحزب الشيوعي الماوي – تركيا و شمال كردستان فى 2006 فى عدّة مدن تركية فى تحدّي لدولة الإستعمار الجديد التى إغتالت بجبن فى جوان 2006 ، 17 عضوا منهم عناصر قيادية عليا من الحزب الذى يواصل حرب الشعب و رفعت خلالها صور الرفاق الشهداء و شعرات تعلى راية حرب الشعب و الماركسية – اللينينية –الماوية. و لا زال الرفاق يخوضون غمار

حرب الشعب و إن ضاق نطاقها فى تركيا و شمال كردستان و ينظّمون المسيرات السلمية و يواجهون بجرأة قوات القمع و الرصاص إن لزم الأمر.

و الماركسيّون المزيّفون فى القطر و في غيره من الأقطار العربية يغيّبون عمدا عامدين أمثلة الهند و تركيا و الفليبين و ما إلى ذلك كي لا يخلّوا بتعهّداتهم القانونية لدولة الإستعمار الجديد ب " رفض العنف" و يعمدون للدعاية للطريق السلمي البحت و الأوهام البرجوازية عن الديمقراطية و الدكتاتورية و الدولة ؛ و لا يعترفون مبدئيّا بحقّنا فى الثورة العنيفة ضد الرجعية (و إن إستثنائيّا لجأ بعضهم إلى العنف فليفرض إصلاحات لا لتحيطم الدولة القديمة و على أنقاضها بناء دولة جديدة) للإطاحة بالدولة القديمة و تشييد دولة جديدة بجيش شعبي حقيقة خدمة لجماهير شعبنا و قضية تحرير البروليتاريا و الإنسانية جمعاء من كافة أصناف الإستغلال و الإضطهاد الجندري و الطبقي و القومي.

" تعلمنا تجارب الصراع الطبقي فى عصر الإمبريالية بأن الطبقة العاملة والجماهير الكادحة لا تستطيع إنزال الهزيمة بالبرجوازيين وملاك الأراضي المسلحين إلا بقوّة البنادق ." (ماو تسى تونغ)

حمه الهمّامي و أتباعه و أضرابه يدّعون الماركسية و ما هم بماركسيين ، و يدعون الثورية و ما هم بثوريين ، و يدّعون تبنّي المادية الجدلية و هم يطبّقون المثالية الميتافيزيقية ؛ بإختصار مجدّدا إنّهم ماركسيون مزيّفون و ليسوا قطعا ماركسيين حقيقيين.

7- العنف ماركسيّا :

قد يستغرق الموضوع عشرات الصفحات و العودة إلى المراجع الماركسية و فضح المواقف التحريفية التاريخية منها و الحالية بهذا المضمار لكن هنا حسبنا أن نجمل بعض الأفكار فى بضعة فقرات.

أوّلا ، الدولة ذاتها ماركسيا و حقّا جهاز قمع طبقي و بالتالي كلّ الدول طبقية و تمارس الديمقراطية التى تتسع و تضيق ضمن صفوف الطبقة أو الطبقات الحاكمة و فئات و طبقات أخرى و الدكتاتورية و العنف الطبقي بشتّى أشكاله ضد الطبقة أو الطبقات المضطهَدة و المستغلّة و أداتها فى ذلك بوجه خاص الجيش ثمّ الشرطة و المليشيات فى ما يتصل بالعنف المسلّح.
و الدولة فى القطر ليست إستثناءا وهي تحتكر العنف الذى تسمّيه الطبقات الحاكمة و المعترفون بسلطتها والعاملون فى إطارها بالشرعي لذلك و لإعادة نتاج علاقات الإنتاج و العلاقات الإجتماعية القائمة تحتاج الطبقات الحاكمة إلى الحفاظ على هذا العنف بأيديها و تمارسه بإستمرار و بوتائر و درجات متفاوتة حسب الظروف و الأهداف المرسومة و ما تراه صالحا لديمومة هيمنتها الطبقية.

و الماركسيون على خطى ماركس يعملون على تحطيم احتكار الطبقات السائدة للعنف ومواجهته بالعنف الثوري الجماهيري قصد بناء جيش و دولة على أنقاض الدولة القديمة و بذلك هم ثوريون. فى حين أنّ الإصلاحيين فلا يستهدفون تحطيم الدولة القديمة بل إيجاد موقع لهم فى تقسيم السلطة و تقديم خدماتهم ك " قوّة إقتراح " أو كماسكين بالسلطة يطبّقون السياسات الرجعية للدولة القديمة المضطهدة لجماهير الشعب لذا تراهم يدافعون بشكل أو آخر عن هذه الدولة القديمة و إن نقدوها فلأجل إصلاحها و إن أدانوا جزءا منها فلأجل تعويضه خدمة للدولة القديمة ككلّ.

و قد يلجأ الإصلاحيون و لجؤوا فى بعض البلدان إلى النضال المسلّح غايتهم من ذلك ليس تحطيم الدولة القديمة و إنّما فرض إصلاحات معيّنة و المشاركة فى السلطة لا أكثر.

عملية الهدم و البناء ، هدم الدولة القديمة وبناء الدولة الجديدة فى عصرنا عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية ينجزها الشعب بقيادة البروليتاريا و حزبها الطليعي وهي أسّ من أسس الماركسية و مهمّة لا بدّ ان يضطلع بها الشيوعيون الحقيقيون هي مهمّة توعية الشعب و تنظيمه و الدعاية و التحريض فى صفوفه للحاجة إلى العنف الثوري المنظّم للإطاحة بدولة الإستعمار الجديد و بناء دولة الديمقراطية

الجديدة على أنقاضها بفضل الثورة الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة عبر حرب الشعب الطويلة الأمد فى المستعمرات وأشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة (و للثورة الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية - الإمبريالية من خلال الإنتفاضة المسلّحة المتبوعة بحرب أهلية).

" إنّ الإستيلاء على السلطة بواسطة القوة المسلّحة ، و حسم الأمر عن طريق الحرب ، هو المهمّة المركزية للثورة و شكلها الأسمى . و هذا المبدأ الماركسي- اللينيني المتعلّق بالثورة صالح بصورة مطلقة ، للصين و لغيرها من الأقطار على حدّ السواء ".

(ماو تسى تونغ " قضايا الحرب و الإستراتيجية " نوفمبر- تشرين الثاني 1938؛ المؤلفات المختارة ، المجلّد الثاني)

و فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة ، مثلما لخّص ماو تسى تونغ :

" حزب قوي النظام مسلّح بالنظرية الماركسية - اللينينية ، يستخدم أسلوب النقد الذاتي و يرتبط بجماهير الشعب ، و جيش يقوده مثل هذا الحزب ، وجبهة متحدة تضمّ مختلف الطبقات الثورية و الجماعات الثورية و يقودها مثل هذا الحزب - هذه هي الأسلحة الرئيسية الثلاثة التى ننتصر بها على العدوّ".

(ماو تسى تونغ " الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية " 30 يونيو – حزيران 1949؛ المؤلفات المختارة ، المجلّد الرابع.)

و ماو تسى تونغ بتلخيصه لهذه الحقيقة ، حقيقة الثورة العنيفة كأساس تعاليم الماركسية ، واصل الطريق الذى خطّه لينين فمثلا فى " الدولة و الثورة " جاء كلام لينين واضحا و لا أوضح :

" ضرورة تربية الجماهير بصورة دائمة بروح هذه النظرة و هذه النظرة بالذات للثورة العنيفة هي أساس تعاليم ماركس و إنجلس بأكملها. و خيانة تعاليمها من قبل التيارين الإشتراكي – الشوفيني و الكاوتسكي السائدين اليوم تتجلّى بوضوح خاص فى نسيان هؤلاء و أولئك لهذه الدعاية ، لهذا التحريض ." (لينين –" الدولة و الثورة " ، الصفحة 23 من الطبعة العربية لدار التقدّم ، موسكو).

8- خاتمة :

و قد توسّع نطاق العنف الرجعي و صار العنف موضوعا الساعة ، نأكّد أن فضح التحريفية و نشر الماركسية يسلّح المناضلات و المناضلين و جماهير شعبنا بالنظرية الثورية القادرة وحدها على إيجاد حركة ثورية و يفتح المجال لتطوير الصراع الطبقي و تأثير الشيوعية الثورية فيه . و لا يسعنا أن نختم المقال إلاّ بشعار صاغه ماو تسى تونغ إبّان الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى (1966-1976) و كرّسته عمليّا الجماهير الشعبية محاربة التحريفية و البرجوازية الجديدة فى ظلّ الإشتراكية و عازلة المسؤولين أتباع الطريق الرأسمالي ، بما خوّل دفع عجلة التاريخ و إجتراح البطولات و شقّ طرق غير مسبوقة فى تثوير المجتمع الإشتراكي ليصل قمّة ما بلغته الإنسانية فى تقدّمها نحو مثلنا الأعلى، الشيوعية ؛ و نقصد :

"من حقّنا أن نثور ضد الرجعية !"

3- إلغاء الإضراب العام بتونس : قتلتنا الردّة إتّحاد الشغل يحمل فى داخله ضدّه !

(ديسمبر 2012)

" تعتبر الفلسفة الماركسية أن قانون وحدة الأضداد هو القانون الأساسي للكون. وهو قانون مطلق الوجود سواء فى الطبيعة أو فى المجتمع البشري أو فى تفكير الإنسان. فبين الضدين فى تناقض ما توجد وحدة و صراع فى آن واحد، و هذا ما يبعث الحركة و التغير فى الأشياء. إنّ التناقضات موجودة فى كلّ شيء ، إلاّ أنّ طبيعتها تختلف بإختلاف طبيعة الأشياء. فالوحدة بين الضدين فى التناقض الكائن فى كلّ شيء محدّد هي ظاهرة مقيدة ، و مؤقتة ، و إنتقالية ، وهي لذلك نسبية ، أمّا الصراع بينهما فإنه يبقى مطلقا دون تقييد. "

(" حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب" ، 1957)

1- مقدّمة : كالنهر الجارف تبنّى النقابيون و النقابيات و العاملون و العاملات فى حقول الفنّ و حقوق الإنسان و غيرها و الغالبية الساحقة من الأحزاب الإضراب العام الذى دعى إلى تنفيذه الإتحاد العام التونسي للشغل يوم 13 ديسمبر 2012 . و تسارع نسق الإعداد له و نسق معارضته من قبل الحكومة و حزب النهضة خاصّة. و يوم 12 ديسمبر فى وقت متقدّم من العشية عدل الإتحاد عن تنفيذ الإضراب و ألغاه ما أثار و يثير ردود فعل متباينة و عدّة أسئلة و ملاحظات.

2- لعبة الإنفلات الأمني :

قبل حتى إمضاء الإتفاقية بين الإتحاد و الحكومة و توزيعها على الإعلام ، بادر الأمين العام للمنظّمة النقابية بتصريح مقتضب معلنا إلغاء الإضراب و مؤكّدا أن ذلك مردّه أساسا و فى المصاف الأوّل الإنفلات الأمني فى البلاد.

فى تقديرنا لا يعدّ هذا الإنقلاب سوى لعبة يبرّر بها التراجع و التهرّب من تحمّل مسؤولية تنفيذ قرار الإضراب العام ذلك أنّنا لا يمكن أن نعتبر صدفة مسرحية الإنفلات الأمني و تزامنها مع الإضراب العام ففى أسبوع واحدة تقريبا يعلن عن:
- تبادل لإطلاق النار بين الجيش و حرس الحدود من جهة و " جهاديين " من جهة أخرى و قتل ضابط ،
- العثور على شاحنة سلاح و مواد متفجّرة ، وعلى معسكرات تدريب ل"الجهاديين " بالمناطق الحدودية ،
- إكتشاف قنبلة فى محطّة حافلات بالقيروان ومنزل مليء سلاحا بمعتمدية تاجروين.

هذا من ناحية ، و من ناحية ثانية يتحدّث الإعلام عن تمشيط الجيش و الحرس التونسيين بالتعاون مع الجيش الجزائري لمنطقة الشبيكة بمعتمدية فريانة من ولاية القصرين بحثا عن ما يناهز الخمسين " جهاديّا " و الحال أنّ المواطنين الذين إستجوبتهم القنوات التلفزية أعربوا عن عدم رؤية أو سماع ما يفيد وجود مثل هؤلاء الناس بمنطقتهم ، و أنّ كاميرا القنوات التلفزية لم تلتقط غير بقايا بضعة علب مأكولات لا أكثر مدّعية إمتلاك الجيش لأشياء أخرى يحتفظ بها ليستعملها لمواصلة التحقيق و البحث.

و من ناحية ثالثة ، فى المواجهة التى قتل فيها أحد أعوان الحرس الحدودي ، تكلّم شهود عيان عن تبادل نار مع أربعة أشخاص.

و بمجرّد إلغاء الإضراب كفّ الحديث عن هذه المسائل .

و لهذا نرجّح أن تكون عملية مسرحية محبوكة الفصول غايتها التوصّل إلى إلغاء الإضراب العام . و هذه ليست المرّة الأولى التى تلجأ فيها الحكومات المتعاقبة إلى التلاعب بمسألة الأمن لإخماد نار الصراع الطبقي فمنذ 14 جانفي عمدت الحكومات لفزّاعة الأمن كلّما إشتدّ الصراع الطبقي و إحتدّ و تصاعدت نيران معارضة الجماهير لخيارات هذه الحكومات . عشنا ذات المسرحية تقريبا المرّات و المرّات ؛ و الإخوان المجرمون يواصلون النهج نفسه مستعملين تارة السلفيين الجهاديين و غير الجهاديين و طورا

روابط حماية الثورة و قوات القمع لإرهاب جماهير شعبنا و مناضلاته و مناضلين ضد الإمبريالية و الرجعية .

3- فصول أخرى من المسرحية :

وأفادتنا متابعة الأحداث بفصول أخرى من المسرحية الرجعية حيث أخذت وسائل الإعلام تردّد بالسرعة المطلوبة رجعيّا معزوفة " القلّة " المعارضة لقرار إلغاء الإضراب . كيف عرفت وسائل الإعلام هذه أنّ " قلّة " هي التى تقف ضد قرار الإلغاء ؟ لا شيء يدلّ على أنّها قلّة فبطحاء محمّد علي بالعاصمة كانت تعجّ بالمناهضين لهكذا قرار و السواد الأعظم للحاضرين هناك عبّروا عن ذلك كما صرخ بهذا الموقف من تجمّعوا من النقابيين فى بهو النزل أين إنعقدت الهيئة الإدارية. و غالبية النقابات الأساسية و الوسطى و الإتحادات المحلّية و الكثير من الإتحادات الجهوية و عناصر من المكتب التنفيذي تمسّكت بالإضراب ، دون ذكر موقف الأحزاب و المنظّمات " المدنية ".

و من هنا نلمس أنّ معزوفة القلّة جزء هام من الخطاب الإعلامي الذى تمّ الإتفاق بشأنه بين الحكومة و فارضي الإلغاء داخل الإتحاد ، إلى جانب تكرار كذبة إتخاذ القرار بالإجماع فى حين أنّ صدى الصراعات الحادّة داخل الهيئة الإدارية بلغ العديد من الناس . و ركن آخر من أركان عملية تمرير القرار دون معارضة جماهيرية تذكر هو تأجيل إعلان القرار إلى ساعة متأخّرة قاربت زمن غروب الشمس. و فى الوقت الذى كان فيه النقابيون و النقابيات ينتظرون على أحرّ من الجمر ، فى العاصمة و فى الجهات صدور قرارات الهيئة الإدارية ، عمدت هذه الأخيرة إلى أسلوب التسويف و تأخير الإعلان المنتظر لإستنزاف طاقة المعارضين و إنهاكهم و تفريقهم حتى لا يحتجّوا جماعيّا بشكل يبين قوّتهم و يكون له ثقل و تأثير و صدى كبيرين .

و فضلا عن إستهانة البيروقراطية بالنقابيين و النقابيات و عدم مدّهم بالقرار لوقت متأخّر جدّا من يوم 12 ديسمبر ، تناهي إلى مسامع كثير من الناس أنّ الأمين العام للإتحاد خرج من النزل محميّا بحرس خاص و نقابيين موالين له خشية ردّ فعل النقابيين المعارضين كما إلتحق بمكتبه بمقرّ الإتحاد بساحة محمّد علي خلسة و من الأبواب الخلفية خوفا من مواجهة الجماهير الغاضبة المرابطة بالساحة.

هذه جملة من خيوط المسرحية إلتقطناها و من الأكيد أنّ خيوطا أخرى قد فاتتنا أو ليس بوسعنا البتّة التفطّن لها ، على الأقلّ فى الوقت الراهن. و يظلّ السؤال قائما : إلى متى ستشلّ فزّاعة الأمن تطوير الصراع الطبقي إذا لم يبادر الثوريون بفضح هذا التلاعب شعبيّا لتمكين الجماهير من إدراكه و تجاوزه ؟

4- إهدار فرصة تاريخية :

لعلّ عددا لا بأس به من متابعي الشأن السياسي قد إنتبهوا إلى أنّ الإضراب العام و ما حفّ به من إستقطاب سياسي و إجتماعي مثّل فرصة تاريخية لقلب ميزان القوى فى البلاد بما يجعل حكومة الترويكا بقيادة النهضة تتلقّى صفعة على الأرجح تؤدّى عاجلا و ليس آجلا إلى إسقاطها بشكل أو آخر أو على الأقلّ إلى إضعافها منتهى الضعف و ربّما تحدث تصدّعا فى صفوف النهضة و تفتح المجال للقوى التقدّمية و الثورية لقطع أشواط إلى الأمام . و يستند رأينا هذا إلى واقع ملموس للصراع الطبقي ترجم فى عزلة النهضة و إنفضاض حلفائها من حولها و إلتفاف نقابي و إجتماعي و سياسي حول الإتحاد ما جعل الإخوان المجرمين يلجؤون إلى مسرحية فزّاعة الأمن من جهة و إلى الأئمّة و الفتاوي المناهضة للإضراب من جهة ثانية . و هذا من جانبهم تعبير عن ضعف إنعكس فى خطاب حكومي ليّن تجاه الإتحاد.

كانت الحكومة قد لعبت أوراقها جميعها و كانت ضربة الإضراب العام قد تقصم ظهرها (دون أن تقضي عليها طبعا) غير أنّ حسابات البيروقراطية النقابية و مصالحها و إلتزامها بالسلم الإجتماعي و الوفاق الطبقي أنقذوها و مكّنوها من إستعادة أنفاسها ، محبطين الكثير من ضمن المناضلين و المناضلات و الجماهير.

و قد سبق و أن حاول الإتحاد إنقاذ حكومة الترويكا بقيادة النهضة عند طرحه بندوة إستدعي إليها كافة الأحزاب والمنظّمات و لم تحضرها النهضة ليدعو إلى إضافة ما سمّاه الشرعية التوافقية إلى الشرعية الإنتخابية التى ظلّ معترفا بها حتى بعد 23 أكتوبر. و يبدو أنّ مشروعه هذا قد يحضى بالقبول فى قابل الأيّام كجزء غير مكتوب من الإتفاق بين الإتحاد و الحكومة و الرئاسة . هذه هي رؤية المركزية النقابية للوفاق الطبقي و مساهمته فى السلم الإجتماعي حاليّا . و من يراهن عليها لإسقاط الحكومة و الدفاع عن الطبقات الشعبية واهم ، لا بل يخدع نفسه عن وعي أو غير وعي و يضلّل الجماهير.

5- مسألة من يقود من؟ الخطّ المناضل أن الخطّ البيروقراطي المهادن ؟

" إنّ أسلوب التحليل هو الأسلوب الديالكتيكي . و نعني بالتحليل تحليل التناقضات الكائنة فى الأشياء . و بدون معرفة تامة بالحياة و فهم حقيقي للتناقضات المراد بحثها ، يستحيل إجراء تحليل سديد." (ماو تسى تونغ " خطاب فى المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول أعمال الدعاية " ، 1957).

نحلّل الإتحاد العام التونسي للشغل فنقول إنّه يحمل فى داخله ضدّه . هذا الإتحاد إن نظرنا إليه بعيون محلّلين ماركسيين ، ماديين جدليين ، لرأينا بجلاء أنّه وحدة أضداد / تناقض و أنّ الخطّ السائد و المظهر الرئيسي فيه خطّ بيروقراطي مهادن و مدافع عن السلم الإجتماعي و الوفاق الطبقي و أنّ الخطّ الضعيف المهيمن عليه أو المظهر الثانوي هو الخطّ المناضل بتلويناته الجذرية و الأقلّ جذرية. هذا الواقع المادي يتجاهله عدد كبير من الذين يعتبرون أنفسهم ماركسيين ولا يبنون على أساسه و إنّما يتحالفون مع البيروقراطية ويقدّمونها على أنّها مناضلة ، مثلما تحالف حزب العمّال التونسي مع النهضة و قدّمها على أنّها ديمقراطية .

و يبذل المتحالفون مع البيروقراطية و المراهنون عليها أقصى الجهود لإيجاد التبريرات من كلّ صنف للدفاع عن البيروقراطية ، تبريرات من نوع " النهضة هي التى أرادت الدفع نحو الإضراب العام " و " هناك بند فى الإتفاق يقرّ بإدانة الحكومة للعنف الذى تعرّض له الإتحاد و قد يستغلّ لاحقا كدليل أمام القضاء " و ينسى هؤلاء الواقع الذى وصفنا كما يتجاهلون أن القضاء غير مستقلّ و أنّ القضاء لم ينصف شهداء الإنتفاضة و لا جرحاها و أطلق سراح مجرمين لا شكّ فى تورّطهم فى الفساد و فى خدمة بن علي على حساب جماهير شعبنا.

يراهن الإنتهازيون على البيروقراطية التى تستخدمهم و من معركة إلى أخرى يثبت لمن له عيون ليرى و أذان ليسمع أنّ البيروقراطية هي المستفيدة فى الأساس فهي التى تقود و تتلاعب بالبقيّة من المتحالفين معها و المعارضين لها الذين لم يرسموا خطّة نضالية واضحة المعالم ويطبّقوها سعيا لقلب موازين القوى صلب الإتحاد بهدف تمكين الخطّ المناضل من الإنتصار على الخطّ البيروقراطي المهادن وهو أمر ليس بالهيّن طبعا و قد تعترض عليه الحكومات وتواجهه بالقوّة إن لزم الأمر.

لعقود الآن لم تفهم غالبية المناضلين والمناضلات الصادقين والثوريين حقّا أنّ للبيروقراطية من الدهاء و المرونة و العلاقات و القوّة ما يمكّنها من التلاعب ليس فقط بأفراد توشّى بهم وجهها بل حتى بمجموعات و بأحزاب و الأدلّة على ذلك لا حصر لها . لعقود الآن لم يفهم الذين يناضلون من أجل نقابة يعتبرونها حمراء أنّه لتصبح النقابة حمراء يجب أن تسود داخلها و تقودها سياسات حمراء تحملها و تحميها قوّة حمراء و بالتالي و عمليّا فى ظلّ هيمنة الإنتهازية و التحريفية على الحركة الشيوعية ، كيف السبيل إلى تشكيل قطب مناضل يبنى خطّا مناضلا و يصارع من أجل أن يغدو سائدا صلب هذه المنظّمة النقابية ؟ مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة . على الثوريين أن يسارعوا إلى تشكيل معارضة نقابية اليوم قبل الغد و يفعّلوها بوعي و ذكاء فى أقرب وقت لمقارعة البيروقراطية كلّما سنحت الفرصة و مراكمة القوى .

و نخلص ، إضافة إلى ذلك ، إلى أنّ من يتحالف مع البيروقراطية و يراهن عليها ليس ثوريّا بل إنتهازيا يطعن الخطّ المناضل فى الصدر قبل الظهر و يصبّ نقابيّا فى مصبّ البيروقراطية و سياسيّا يساهم فى خدمة مشاريع دولة الإستعمار الجديد و إيديولوجيّا ليس بماركسي مطلقا بل معادي للماركسية .

6- الإنضباط و الوحدة و فزّاعة " فرقعة " الإتحاد :

مثلما مرّ بنا من يقود من ؟ مسألة محورية و كلّ من ينادي بالإنضباط للبيروقراطية و قراراتها يدفع بإتجاه تأبيد هيمنة البيروقراطية و إستمرار قيادتها للإتحاد إلى ما لا نهاية مقابل أن ترضي عليه و أن تمنّ عليه بفتات من السلطة أو الإمتيازات التى قد تسحبها فى أي وقت شاءت. و مثل هذا الموقف الإنتهازي بإسم الشرعية تنادي به الجبهة " الشعبية " فى بيانها بتاريخ 11 ديسمبر 2012 .(" تدعو كافة مناضليها وأنصارها وأصدقائها ومؤيّديها إلى احترام قرارات الهياكل الشرعية للاتحاد " و عليه لا يتعيّن أن يتوقّع المرء من الأحزاب المنضوية تحت هذه الجبهة أن تنقد البيروقراطية النقابية و تراجعها عن الإضراب العام).

من ينادي بالوحدة ثمّ الوحدة فالوحدة مع البيروقراطية النقابية المتاجرة بمصالح الجماهير العمالية و المكرّسة للوفاق الطبقي و السلم الإجتماعي والخادمة فى النهاية لسياسات دولة الإستعمار الجديد ، يطرح الوحدة مع عدوّ العمّال و المتاجرين بمصالحهم و معرقلي تطوّر الوعي الطبقي السياسي للعمّال و تحويل الحركة النقابية النقابوية إلى حركة نقابية مناضلة ثورية تساهم فى خلق حركة ثورية فعلا غايتها تغيير المجتمع تغييرا ثوريّا و ليس فقط تحقيق بعض الإصلاحات الجزئية و القابلة للذوبان .

و غالبا ما تطلق فى وجه من يسعى حاليّا للنضال ضد البيروقراطية فزّاعة "فرقعة " الإتحاد و تهمة غير مباشرة بخدمة النهضة . و الرد على ذلك بسيط فالنضال ضد البيروقراطية لا يستهدف تفكيك صفوف الإتحاد و تفتيته بقدر ما يستهدف قلب الموازين داخل المنظّمة أي بلوغ هدف جعل البيروقراطية الطرف الثانوي فى التناقض عوض الطرف الرئيسي بما يعنى جعلها مهيمن عليها و جعل الخطّ المناضل الطرف الرئيسي المهيمن . و هذا تحوّل نوعي يكسر الوحدة القديمة و يبنى أخرى جديدة طالما تمنّاها وعمل من أجلها آلاف المناضلين و المناضلات و الثوريون و الثوريّات. لذا مرحى لتفكيك يمنح السيطرة و السيادة و القيادة للخطّ المناضل و العار يجب أن يلحق بالذين يعمدون إلى تشويه المناضلين و المناضلات و وعي الجماهير بفزّاعة " الفرقعة " التى تشبه إلى حدود و فى وجوه منها مسرحية الإنفلات الأمني بالتأكيد لا تخدم حاليّا و فعليّا سوى البيروقراطية النقابية .

لسنوات تلتها سنوات و سنوات هاجمت عديد فرق " اليسار" الماوية على أنّها تنظّر للوحدة على حساب الصراع و زوّرت الوثائق الماوية و طمست الحقائق بل و قلبتها رأسا على عقب و ذات هذه الفرق نجدها عمليّا توحّدت فى فترة أو أخرى و بصورة أو أخرى مع البيروقراطية النقابية . و بالمناسبة نشير إلى أنّ المناضلين و المناضلات إن تمسّكوا بالوحدة الرجعية مع البيروقراطية لما نظّموا مسيرات و مظاهرات بالرغم من تخاذل البيروقراطيين و عرقلتها و حتى شتمها لهم مثلا فى ديسمبر 2010. و لو إنضبطت الجماهير و إنضبط الثوريون لأعداء الطبقة العاملة و الشعب لما ساهموا فى إنتفاضات شعبنا و منها إنتفاضة 3 جانفي 1984 و ما إلى ذلك من الأمثلة التى تقف براهينا على أنّه من واجب الثوريين و الثوريات أن يصارعوا الخطّ المتهادن مع دولة الإستعمار الجديد و أن يتجاوزوه و لا ينضبطوا له تنظيميّا و سياسيّا خدمة لجماهير شعبنا.

7- موقف إنتهازي نقابوي أم نضال نقابي بروليتاري ثوري :

إعتاد العديد من " اليساريين" على ترديد أنّ النضال النقابي رافد من روافد النضال السياسي فى حين أنّهم يطبّقون النقابوية ويكرّسون النزعة الإقتصادوية المتجذّرة عميقا و لعقود مارسوها غاضين النظر عن المعارك و الجبهة السياسية و بصفة خاصة عن المعارك و الجبهة النظرية. و إلى الآن يتجنّبون النضال النظري و يغرسون رؤوسهم فى النضال النقابي و فى شيء من النضال السياسي الإنتهازي بدعوى الإقتراب من الجماهير الشعبية و مخاطبتها بلغتها ، فى حين أنّ الجبهات الثلاث مترابطة و النضال الإيديولوجي و السياسي بقيادة و سياسات شيوعية ثورية يجب أن يكون فى المصاف الأوّل و هو الكفيل بإيجاد حركة ثورية تهدف إلى القضاء على الإمبريالية والرأسمالية الكمبرادورية والإقطاعية كمرحلة أولى تمهّد للثورة الإشتراكية و كجزء من الثورة البروليتارية العالمية أمّا النضال الإقتصادي فيهدف

بالأساس إلى تحسين ظروف العمل فى إطار النظام و الدولة القائمين و هو نضال قد ينهض بأعبائه حتى غير الشيوعيين الثوريين.

إنّ النضال من أجل تحسينات فى ظروف العمل فى عزلة عن رفع وعي العمال والفلاحين و الطبقات الشغيلة عموما الطبقي السياسي والنظري قدر الإمكان يجعل من المجموعات السياسية " اليسارية " نقابوية لا غير.

و مثلما أوضح ذلك لينين فى " ما العمل ؟ " فإنّ حصر نضال العمّال فى تحسين ظروف العمل إقتصادوية و النضال الثوري يستدعي تجاوز ذلك النضال المتسّم بالعفوية إلى النضال الثوري البروليتاري الطبقي السياسي و النظري الواعي من أجل إفتكاك السلطة ، من أجل أن تعمل الطبقات الكادحة لذاتها قصد الإطاحة بالنظام الإستغلالي و الإضطهادي القائم لا لتحسينه أو ترميمه ، و بناء مجتمع جديد ثوري وفق السياسات الشيوعية الحقيقية .

و ظلّ "اليساريون" يلهثون وراء المعارك النقابية و يتقاتلون أحيانا على الكراسي ويتحالفون مع البيروقراطية و حتى عناصر من الحزب الحاكم لأجل الحصول على كراسي بينما تلهيهم البيروقراطية بتلك المعارك و تستغلّهم فى خدمة دولة الإستعمار الجديد و معلوم أنّ غالبية " اليساريين " الذين بلغوا مناصبا مرموقة فى الإتحاد جهويّا و مركزيّا بتحالف مع البيروقراطية تحوّلوا هم ذاتهم إلى جزء لا يتجزّأ من البيروقراطية فى ممارستهم ومواقفهم التى تتضارب مع النضال الثوري.

و بإختصار لأنّ المجال لا يسمح بالدخول فى تفاصيل هذا الموضوع ، نقول إنّ " الحركة كلّ شيء و الهدف لا شيء " تلخّص ، على حدّ قول لينين ، جوهر التحريفية كفكر برجوازي فى صفوف الحركة العمالية. والنقابوية مرض عضال إن لم يشفى منه المريض صار لا محالة بيروقراطيا أو خادما لها ، إنتهازيّا و فى الأحوال كافة لن يفعل سوى المساهمة فى تأبيد النظام السائد. و فى هذا المضمار ،ننصح من يرغب فى العمل النقابي بمنظور بروليتاري ثوري حقيقي أن يدرس بعمق كتابات لينين ، لا سيما " ما العمل؟ " ففيها من الزاد ما ينير الطريق الشيوعي .

8- أمران لا يجب أن يغيبا عن ذهن الثوريين و الثوريّات :

ينبغي أن يتذكّر الثوريون و الثوريات على الدوام المسألتين التاليتين :

أ- لا شيء مقدّس :

من العجب العجاب أن نرى من يدّعون الثورية يلهثون وراء البيروقراطية النقابية و يتحالفون معها و يقدّمون لها الخدمات الجليلة و حتى يذودون عنها بإسم الوحدة والإنضباط ، فى حين تعلّمنا الماركسية و يعلّمنا رموزها العالميين ،ماركس و إنجلز و لينينو ستالين و ماو تسى تونغ ، أنّ ما من شيء مقدّس حتى الحزب الشيوعي ذاته ، حزب الشيوعيين ليس مقدّسا و فى إطاره يجب خوض مختلف الصراعات اللازمة للحفاظ على ثوريته و التقدّم بالصراع الطبقي فما بالك بنقابة من النقابات . النقابات ليست مقدّسة وهي إنتاج الحركة العفوية للعمّال. و الأحزاب ليست مقدّسة و قد دفع الشيوعيون الثوريّون على الدوام الصراع بهدف إلحاق الهزيمة بالتحريفية و القطع معها و تشكيل أحزاب أخرى على غرار ما حصل عالميّا على نطاق واسع فى الستينات و السبعينات خاصة ما أفرز الحركة الماركسية - اللينينية بقيادة الحزب الشيوعي الصيني وعلى رأسه ماو تسى تونغ، التى تصدّت للتحريفية المعاصرة السوفياتية منها و الفرنسية و الإيطاليةو اليوغسلافية..ز و إنشقت عنها لتكوّن منظّمات و أحزاب جديدة .

و بصدد النقابات نقولها صراحة ليس الإتحاد العام التونسي للشغل منظّمة نقابية مقدّسة لذا ما يتأكّد على الثوريات و الثوريين هو الدفاع عن النضال النيّر فى تراثه و ليس على كلّ تاريخه و ما أتاه و العمل بدئب على تطويره نحو تبنّى النضال النقابي الطبقي مصارعين جميع أصناف البيروقراطية والنقابوية و الإنتهازية. و إن تعذّر التقدّم بالنضال الجماهيري فى إطار هذه المنظّمة لن يعيب الثوريين و الثوريّات أبدا

الإلتحاق بمنظّمة نقابية أخرى تفسح المجال لتطوير الوعي الطبقي السياسي البروليتاري فى صفوف العمّال و جماهير الشغيلة عامة أو بعث نقابات قطاعية أو جهوية أو " إتحاد" آخر عندما تنضج الظروف الموضوعية و الذاتية. فالمضمون الطبقي الثوري هو المحدّد فى نضالنا و الأطر على أهمّيتها عرضية علما و أنّ الشغالين و الكادحين متواجدين أيضا وبكثافة قد تضاهي المنخرطين فى النقابات و قد تفوقها عددا خارج الأطر النقابية القائمة و من يهملهم ينفى المبدأ اللينيني للتواجد حيث تتواجد الجماهير.

إذن الإتحاد ليس مقدّسا و فرحات حشّاد ذاته عندما أدرك ضرورة مغادرة النقابات التى كان ينتمى إليها غادرها و كوّن مع ثلّة من النقابيين الآخرين الإتحاد الذى نتحدّث عنه. و حشّاد الشهيد نفسه ليس مقدّسا . المنظّمة ليست مقدّسة و الأفراد و القيادات أيضا ليست مقدّسة. صحيح أنّنا ملزمون بالدفاع عن التراث النيّر لحشاد (و ليس كلّ ما فعله و قاله) لا سيما فى موقفه من الإستعمار المباشر وربطه النضال الوطني بالنضال النقابي إلاّ أنّنا كشيوعيين ثوريين من واجبنا أن درك أن فرحت حشّاد مارس النضال النقابي من منظور وطني برجوازي ضيّق ويكفى بهذا الصدد أن نحيل القراء على كونه إنخرط فى كنفدرالية النقابات الحرّة المدافعة بجلاء عن النظام الرأسمالي الإمبريالي و التى تقف وراءها القوى الإمبريالية العالمية و لم ينخرط فى فدرالية النقابات العالمية التى تعلي راية النضال النقابي الطبقي للمساهمة فى دحر النظام الرأسمالي الإمبريالي . و إلى ذلك ، نوجّه للرفاق والرفيقات " اليساريين " سؤالا بسيطا : لو بقي فرحات حشّاد حيّا إلى ماذا كان سيفضى مشروعه النقابي إنطلاقا من رؤيته للعالم و نظرته للصراع الطبقي فى تلك المرحلة من الإستعمار المباشر ؟

و فى ظلّ الإستعمار الجديد الآن وفى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية بتيّاريها بقيادة البروليتاريا ،الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة و الثورة الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية الإمبريالية ، ينبغى أن ينشر الشيوعيون الثوريون الحقيقيون علم الثورة البروليتارية العالمية ويرفعوا الوعي الطبقي السياسي و أنظار الشغالين نحو المستقبل بمنظور بروليتاري ثوري ، لا نحو الماضي و بمنظور برجوازي. نعم نحتاج فى صراعاتنا إلى التعويل على تراث شعبنا و شعوب العالم فى جانبه النيّر غير أن هذا لا يجب أن يحتلّ المكانة الثانوية نسبة لبثّ المشروع الشيوعي والمبادئ الشيوعية وتكريسها بأفق مستقبلي شيوعي رئيسيّا.

الشيوعيون الحقيقيون شيوعيون ثوريون ينبذون التحريفية والإصلاحية ويبذلون قصاري جهدهم و ذواتهم إن لزم الأمر فى سبيل التقدّم بالثورة البروليتارية العالمية .

<u>ب – الوحدة و الصراع :</u>

إضافة إلى المقولة التى صدّرنا بها مقالنا هذا و جملة " **فالوحدة بين الضدين فى التناقض الكائن فى كلّ شيء محدّد هي ظاهرة مقيدة ، و مؤقتة ، و إنتقالية ، وهي لذلك نسبية ، أمّا الصراع بينهما فإنه يبقى مطلقا دون تقييد"**، نوجّه هنا دعوة لمن يريد حقّا تفسيرالعالم لتغييره ثوريّا من منظور بروليتاري أن يستوعب حقيقة لخّصها ماو تسى تونغ بالكلمات التالية بصدد العلاقة الجدلية بين الوحدة و الصراع و أن يطبقوها عمليّا فى جميع مجالات النضال :

" لمّا كانت وحدة الضدين لا تتحقّق إلاّ بوجود عوامل معينة ، قلنا أنّ الوحدة مشروطة ونسبية. ثمّأضفنا أنّ صراع الضدين يسري فى العملية من البداية حتى النهاية و يسبّب تحوّل عملية إلى عملية أخرى، و أن صراع الضدين موجود فى كلّ شيء ، لذلك نقول إنّ صراع الضدين غير مشروط ومطلق . إنّ الوحدة المشروطة النسبية تشكّل مع الصراع المطلق غير المشروط حركة التناقض فى جميع الأشياء ... فالصراع يكمن بالضبط فى الوحدة ولا وحدة دون صراع." (ماوتسى تونغ " فى التناقض" ، 1937).

<u>9- خاتمة :</u>

عود على بدء . كلّ شيء يحمل فى داخله ضدّه . هذا قانون مادي جدلي. و الإتحاد ليس إستثناءا و من ثمّة علينا أن نحلّل إتحاد الشغل تحليلا ماديّا جدليّا و ان نصبّ طاقتنا فى دفع الصراع ضد خطّ التعاون الطبقي و السلم الإجتماعي ، من أجل تكريس نضال نقابي طبقي كرافد من روافد إيجاد حركة ثورية تسترشد بالنظرية الشيوعية الثورية بقيادة حزب شيوعي ثوري و تهدف إلى تغيير المجتمع ثوريّا بإتجاه الشيوعية عالميّا . و التخلّى عن الصراع أو الإستسلام و الإنضباط و الوحدة الرجعية و الإنتهازية مع السائد البيروقراطي يأبّد وضع الإستغلال والإضطهاد و يخدم أعداء شعبنا و أعداء الثورة الحقيقية ، الثورة بقيادة بروليتارية و أهداف و سياسات شيوعية.

كلّ شيء يحمل فى داخله ضدّه حقيقة تملى علينا أن نخوض الصراع بلا هوادة من أجل الوحدة الثورية ، الوحدة المبدئية التى تتقدّم بالنضال الثوري و ليس الإصلاحي. و الوحدة الثورية فى كافة المجالات ، نشدّد على ذلك ، لن تحصل إلاّ عبر الصراع الثوري و المبدئي ولن تكون ثوريةّ إلاّ إذا فسحت المجال لتعميق الصراع الطبقي نحو إنجاز المهمّة التاريخية للبروليتاريا العالمية.

النضال هو الصراع و قد فهمت القوى الرجعية و الإنتهازية هذا بشكل أفضل ممّا فهمته القوى التى تقول عن نفسها ثورية. تناضل القوى الإمبريالية و الرجعية والإنتهازية بشتّى الطرق و الأساليب لتظلّ هي السائدة و المتحكّمة و المحدّدة فى مسار تطوّرات الأمور. و بالمقابل على الثوريات و الثوريين أن يفتحوا عيونهم و آذانهم ولا ينخدعوا بالوحدة الرجعية و أن يناضلوا و يصارعوا بإستمرار و صرامة و مبدئية من أجل أهداف ثورية وبأساليب ثورية ، واعين أنّ التناقضات المختلفة تعالج بطرق مختلفة ، إذا راموا لأنفسهم أن يكونوا ثوريين حقّا ، قولا و فعلا .

العالم يصرخ من أجل الثورة البروليتارية العالمية فنكن ثوريين ، لا إصلاحيين . لا فائدة ترجى من الإصلاحية و الإصلاحيين و الحلول الترقيعية لن تقضي على مصادر الإستغلال و الإضطهاد الجندري والطبقي والقومي و المئات من الأمثلة تنهض دليلا على ذلك . عالم آخر ممكن ، عالم شيوعي ممكن و يترتّب علينا كشيوعيين حقيقيين أن نناضل من أجله.

4- **إغتيال شكرى بلعيد : إكرام الشهيد و فضح الأوهام الديمقراطية البرجوازية .**

(فيفري 2013)

حدث جلل هو حدث إغتيال الأمين العام لحزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد و أحد أبرز قادة الجبهة الشعبية فى تونس و جاء ردّ الفعل الشعبي بحجم الحدث و حتى أفضل بكثير ممّا كان يتوقّع الكثيرون إذ زلزلت أقدام المحتجين على هذا الإغتيال السياسي و مشيعي جثمان الفقيد فى الجنازة الأصلية بالعاصمة أو فى الجنازات الرمزية فى عدّة ولايات، أرض البلاد شرقا و غربا و شمالا وجنوبا، فى يوم علت فيه الأصوات لتبلغ العالم بأسره تنديدها بالحكومة و الحزب الحاكم و الإرهابيين ، يوم تاريخي لم يشهد له مثيل القطر منذ عقود .

1- **" من يكرم الشهيد يتبع خطاه " مطبّقة على هذا الإغتيال السياسى :**

من الأقوال المأثورة و التى صدحت بها الحناجر الفلسطينية بوجه خاص " من يكرم الشهيد يتبع خطاه ". و إكرام الشهيد شكري بلعيد واجب . وقد كانت تحرّكات يوم تشييعه إلى مثواه الأخير من أروع صور الإكرام التى لن ينساها شعبنا و مع ذلك يظلّ إكرام الشهيد منقوصا إن لم تواصل القوى الديمقراطية و التقدّمية و الثورية النضال من أجل إماطة اللثام عن الجناة من منفّذين ومخطّطين ومصدرين للأوامر و من اجل التشهير الإيديولوجي و السياسي بالإسلام السياسي اللاديمقراطي أصلا و المناهض لمصالح الجماهير الشعبية الإقتصادية منها و الإجتماعية و السياسية و الثقافية و ما تسبّب فيه و يتسبّب فيه من

مآسي بإلتفافه على المطالب الأساسية للإنتفاضة الشعبية و لفئات و طبقات شعبنا و خدمته للمصالح الإمبريالية و متاجرته بالدين . و ينبغى أن لا يكون الهدف أقلّ من الإطاحة بحكومات النهضة و مجلسها التأسيسي .

نعم هذا واجب القوى الديمقراطية و القوى التقدّمية عموما أمّا القوى الثورية حقّا فعليها أن تنهض هي الأخرى بهذا الواجب و لكن عليها أن ترفق ذلك من جهة بالدعاية و التحريض من أجل ما تقتضيه الثورة البروليتارية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات و المستعمرات الجديدة من ثورة ديمقراطية جديدة / وطنية ديمقراطية بقيادة البروليتاريا و كجزء من الثورة البروليتاريةالعالمية ؛ و من جهة ثانية بدحض الأوهام الديمقراطية البرجوازية المنتشرة و المعيقة عمليّا لتطوّر الصراع الوطني و الطبقي و الإرتقاء بالوعي الطبقي للجماهير الشعبية و على رأسها العمّال و الفلاحون .

و بإختصار ، على القوى الثورية أن تدافع عن الثورة الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة بمقولاتها البروليتارية الثورية لا عن الصورة الديمقراطية البرجوازية التى أخرجها لها حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد . و بصيغة أخرى ، ينبغى على القوى الثورية أن ترفع عاليا راية أهمّ مقولات الطرح الوطني الديمقراطي الثوري الذى كان يتبنّاها تاريخيّا و رئيسيّا الشهيد شكرى بلعيد نفسه ، لا المقولات التى قولبها الحزب الموحّد لتخدم الديمقراطية البرجوازية و تتماشي و قوانين دولة الإستعمار الجديد مثلما شرحنا بإستفاضة فى الكتاب الذى أفردناه لمعرفة حقيقة خطّ هذا الحزب و الذى إخترنا له من العناوين " الحزب الوطني الديمقراطي الموحّد حزب ماركسي مزيّف " وقد شرعنا فى نشر فصوله على موقع الحوار المتمدّن . ماويّا ، على هذا النحو يكون إكرام الشهيد و فضح الأوهام الديمقراطية البرجوازية بغاية التقدّم بالعمل الثوري من منظور بروليتاري ثوري.

<u>2- وهم الديمقراطية البرجوازية يؤدّى إلى طلب الحماية من العدوّ :</u>

فى الندوة الصحفية التى عقدها حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد ، أكّد السيّد "جمور" مرارا و تكرارا على أنّه أبلغ وزارة الداخلية بأنّ الشهيد شكري بلعيد كان يتعرّض للمراقبة و التهديد و طلب منها إتخاذ الإجراءات اللازمة لكنّها كذّبته و لم تحرّك ساكنا ما يستدعي منّا وقفة بسيطة ولحظة تفكير نعود بعدها لنقول يا سيّدى ، ألا تعتقدون أنّكم بصنيعكم هذا إقترفتم خطأ مزدوجا ؟ أوّلا ، عوض أن توفروا أنتم بأنفسكم حماية لرفيقكم، سعيتم لأن يضطلع بحمايته غيركم . و ثانيا ، ممّن طلبتم الحماية ؟ من السلط النهضاوية التى تعتبرونها بكلمات شكري بلعيد نفسه خائنة للوطن ومتاجرة بالبلاد و العباد . هل يمكن للعدوّ أن يحميك ؟ كيف تتوقّع أن يحميك عدوّك وهو الذى يعمل على قتلك ؟

هذا خلط فظيع بين الأعداء و الأصدقاء عادة ما لا يقع فيه ماركسي يتعلّم أوّل ما يتعلّم من مبادئ الفكر الثوري طرح سؤال من هم أعداء الثورة و من هم أصدقاؤها و الإجابة عليه ! و مردّ هذا الخلط الفظيع وهم حياد الدولة الناجم عن نظرة منافية للماركسية . فالدولة ماركسيّا أداة قمع طبقي تستخدمها طبقة أو إئتلاف طبقي ضد طبقة أو إئتلاف طبقي آخر و دولة الإستعمار الجديد ليست دولة فى خدمة الشعب و إنّما هي دولة الطبقات الحاكمة الكمبرادورية – الإقطاعية المتحالفة مع الإمبريالية وهي تخدم مصالحها و تمارس الدكتاتورية المفضوحة أو المتستّرة الخبيثة ضد كافة فئات الشعب و طبقاته عامة .

فى حين شدّدت الجماهير و بيّنت الأحداث فى مناسبات لا حصر لها و لا عدّ على أنّ وزارة الداخلية وزارة إرهابية ، يلجأ لها أصحاب الأوهام الديمقراطية البرجوازية لتحميهم ! إلى هذا يؤدّى التخلّي عن التحليل العلمي الماركسي لطبيعة الدولة و التشبّث بالأوهام الديمقراطية البرجوازية .

<u>3- وهم تغيّر طبيعة الإسلام السياسى الفاشستية :</u>

هنا لن نكرّر ما فصّلناه فى الكتاب المشار إليه أعلاه و لن نأتي على تاريخ الإغتيال السياسي فى الإسلام فقد تكفّل بذلك هادي العلوي فى " فصول الإسلام السياسي " و لن نستشهد بما حصل و يحصل فى عديد البلدان العربية ، حسبنا أن نذكّر بأنّ نشرية " الوطني الديمقراطي " لحركة الوطنيون الديمقراطيون ، قبل تأسيس الحزب الموحّد ، قد نشرت هي الأخرى أوهاما قاتلة عن طبيعة هذه القوى الظلامية و إمكانية تحوّلها إلى قوى ديمقراطية تلتزم بالدولة المدنية وقوانينها إلخ (تفاصيل المسألة فى الكتاب المذكور) . و هذه الحركة تقتفى خطى حزب العمّال التونسي الذى طالما نظّر و طبّل لجعل النهضة قوّة من القوى الديمقراطية و تحالف معها و ما إلى ذلك من الأمور المعلومة . و ها نحن نحترق أيّما بديمقراطية النهضة نتيجة الأوهام الديمقراطية البرجوازية .

عندما كان الوطنيون الديمقراطيون بالجامعة وغيرهم من الوطنيين الديمقراطيين يعتمدون رئيسيّا التحليل الماركسي فى الثمانينات و كانوا رئيسيّا ثوريين ، كانوا يفهمون جيّدا طبيعة هذه القوى اليمينية كبديل إمبريالي رجعي فى خدمة دولة الإستعمار الجديد و كثيرة هي النصوص التراثية التى تنهض دليلا على ذلك . وعندما كان حمه الهمّامي يستخدم المنهج المادي الجدلي و المادي التاريخي ، على الأقلّ فى كتبه "ضد الظلايمية "، كان يرى الوجه الحقيقي الظلامي لهذه القوى و يقرّ حقيقة معاداتها التطوّر والتقدّم و حقيقة أنّ الظلاميين" يريدون إقامة نظام فاشي".

و لمّا تحوّل هؤلاء إلى إصلاحيين لأسباب عدّة ليس هنا مجال تفصيلها أو مضوا بعيدا فى إصلاحيتهم سقطوا أو غاصوا أكثر فى تيه الديمقراطية البرجوازية ، فصار الظلاميون ديمقراطيون و صارت "شرعية " حكمهم ال" الفاشي" محترمة و مقدّسة . لقد إبتعلت مجموعات " يسارية " حبّة (" حربوشة ") لعبة ديمقراطية الإستعمار الجديد ، فأضحت تسبّح بإسم الأوهام الديمقراطية البرجوازية و تعدّ العدوّ صديقا و هكذا ...

4- أوهام الديمقراطية البرجوازية أو " نم يا حبيبي نم " :

مقرف ، لا بل مقرف جدّا ، لا بل فى منتهى القرف أن نلفي مناضلين و مناضلات محنّكين أمضوا عقودا من حياتهم فى النضال و عرف منهم الكثير أهوال السجن و الملاحقات و التهديدات ... يتمسّكون بالأوهام الديمقراطية البرجوازية تمسّك غريق بقشّة و ينشروها نشر الريح للغبار . فرغم تهاطل حلقات سلسلة القمع الممنهج فى ظلّ حكم النهضة / الترويكا ، من أقصى البلاد إلى أقصاها ، لم يراكم الحزب الموحّد و حزب العمّال التونسي إستنتاجات صحيحة بشأن مشروع النهضة و أساليبها فى التعاطي مع المعارضة . ففى الوقت الذى صاح فيه بلغات و تعابير مختلفة الشيب والشباب و النساء و الأطفال فى عديد الجهات بأنّ البلاد لم تشهد تغييرا ثوريّا و أن دار لقمان على حالها أو أسوأ حالا ، لا يزال " يساريّونا " يطالبون ب" إستكمال مهام الثورة " ! و فى الوقت الذى عرف فيه الشعب الطبيعة الفاشستية و الإرهابية لوزارة الداخلية (9 أفريل ، سليانة و القائمة طويلة) ، لا يزال " يساريونا " يطلبون منها حماية " قادتهم " ! وفى الوقت الذى سقطت ومنذ أكتوبر الماضي حتى " الشرعية الإنتخابية " للنهضة و المجلس التأسيسي ، لا يزال " يساريّونا " يحترمون هذه الشرعية البالية و التى نجم عنها تفقير شعبنا و تجويعه و قمعه و قتل أبنائه ... ووضعوا فى سلّة المهملات الشرعية الثورية .

لا يرى هؤلاء الإصلاحيين أية شرعية أخرى غير شرعية الدولة القائمة ، دولة الإستعمار الجديد التى إلتزموا بالعمل فى إطارها و إحترام قوانين لعبتها . إلى هذا تؤدّي الإصلاحية و الأوهام الديمقراطية البرجوازية .

5- طريقان أمام قوى" اليسار " : طريق إصلاحي و طريق ثوري :

" يساريونا " هؤلاء نائمون يغطّون فى نوم عميق بعيدا عن متطلّبات المهمّة التاريخية للبروليتاريا ، يحلمون بديمقراطية برجوازية غير ممكنة التحقّق تاريخيّا فى البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة و فى المستعمرات الجديدة . يسبحون فى عالم مثالي و يضلّلون المناضلين و المناضلات و الجماهير الشعبية و يحقنونهم بسموم أوهام الديمقراطية البرجوازية رغم أنّ التاريخ و الماضي و الحاضر يسفّهون هذه الخيالات قطريّا و عربيّا و عالميّا . ومثلما شرحنا فى ملاحق الكتاب الذى مرّ بنا ذكره ، الديمقراطية التى يحلمون بها، الديمقراطية البرجوازية القديمة على غرار تلك فى أوروبا نتيجة الثورة الديمقراطية البرجوازية و نمط الإنتاج الرأسمالي باتت غير ممكنة فى عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية و ما ظلّ ممكنا هو الثورة الديمقراطية الجديدة بقيادة البروليتاريا ممهّدة الطريق للثورة الإشتراكية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية .

حين يقبل " يساريّونا " بلعبة ديمقراطية دولة الإستعمار الجديد و قوانينها يستسلمون حتى للقمع و الإغتيال إحتراما " للشرعية " و يكون ردّهم من مثّل " نم يا حبيبي نم " و ينامون مثلما نامت الجبهة الشعبية منذ 6 فيفري إلى يوم كتابة هذه الأسطر و ستمسّكون بموقف إنتظاري غايتهم " حكومة إنقاذ " دولة الإستعمار الجديد و إحتلال مواقع و كراسي لتقاسم السلطة عن طريق الإنتخابات . إنّهم إصلاحيون و إصلاحيتهم تغلّ أيديهم و مبادرتهم وتجعلهم يتخلّفون عن ركب تطلّعات " إسقاط النظام " و عوض أن يقودوا الشعب يتذيّلون له .

و الطريق الإصلاحي طريق مناهض للمشروع البروليتاري الثوري وجب نبذه وفضحه و إلحاق الهزيمة به .

أمّا البديل الثوري الحقيقي، من منظور بروليتاري ماركسي – لينيني – ماوي فهو المشروع الشيوعي و علم الثورة البروليتارية العالمية الذى إن تغلغل فى صفوف جماهير الشعب ، بات قوّة جبّارة لا تقهر تدكّ عبر حرب الشعب الطويلة الأمد بقيادة الحزب الشيوعي الماوي حصون دولة الإستعمار الجديد و تشيّد دولة الديمقراطية الجديدة الممهّدة للثورة الإشتراكية كجزء من الثورة البروليتارية العالمية .

و على الذين يطمحون فعلا لتغيير العالم تغييرا ثوريّا و يتطلّعون إلى خدمة البروليتاريا و الشعب أن يقطعوا مع الإصلاحية ويعانقوا علم الثورة البروليتارية العالمية . و ليكن شعارنا : مقاومة دولة الإستعمار الجديد برمّتها و تغيير أفكار الناس من أجل الثورة الديمقراطية الجديدة .

لا حركة ثورية دون نظرية ثورية – لينين .

يجب أن يكون هناك حزب ثوري ما دمنا نريد الثورة – ماوتسى تونغ .

5- هوغو تشفيز و بؤس " اليسار " الإصلاحي .

(مارس 2013)

" إذا أردنا أن ندرس قضية ما فعلينا أن ننفذ إلى جوهرها ، و لا نعتبر مظاهرها إلاّ دليلا يقودنا إلى عتبة الجوهر ، و إذا ما إجتزنا العتبة فعلينا أن نمسك الجوهر ، و هذه هي وحدها الطريقة العلمية المعتمد عليها فى تحليل الأشياء " .

(ماو تسى تونغ " ربّ شرارة أحرقت سهلا " 5 يناير – كانون الثاني 1930، المؤلفات النختارة ، المجلّد الأوّل ؛ الصفحة 224 من " مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسي تونغ).

مقدّمة :

أرسل لى مشكورا أحدهم مجموعة من وثائق صادرة عن بعض فرق " اليسار " التونسي متصلة بهوغو تشافيز و سألنى رأيى فيها . و نظرا لمدى أهمّية الموضوع من ناحية و إنكبابي على الإشتغال على موضوع آخر فى الوقت الحاضر ، أستجيب للطلب الملحّ و القضية الحارقة راهنا غير أنّه لن يسعنى هنا الآن إلاّ أن أصوغ جملة من الفقرات المقتضبة . و من يريد التعمّق أكثر عليه بما خطّه الماويّون حول العالم متناولين تجربة هوغو تشافيز بالتحليل و النقد و لو أنّ معظم ما كتب من منظور بروليتاري غير متوفّر للأسف باللغة العربية .

1- من مواقف " اليسار " الإصلاحي :

ما من شكّ فى أنّ تجربة هوغو تشافيز إسترعت إنتباه عدد لا بأس به من التقدميين و الديمقراطيين و حتى الثوريين عبر العالم و يعزى ذلك إلى أنّ الرجل تمتّع بشعبية كبيرة نتيجة وعوده و بعض سياساته و إلى أنّه قد صدح بآراء غير معهودة من رئيس فينيزويلي تجاه الكيان الصهيوني و الإمبريالية الأمريكية و كذلك إلى أنّه تعرّض إلى محاولة إنقلاب فاشلة دعمتها الولايات المتحدة الأمريكية ضدّه سنة 2002 . وقد تأثّر مناضلون و مناضلات " يساريون " بما روّج عن هذه التجربة إلى حدّ تحوّلهم أحيانا إلى أبواق دعاية هم ذاتهم لمشروع هوغو تشافيز . و قد تجلي هذا بكثير من الوضوح فى بيانات منظّمات و أحزاب " يسارية " فى المدّة الأخيرة عقب وفاة تشافيز فى 5 مارس 2013 ، ناعتينه بالزعيم الأممي و القائد الوطني و الثائر و الثوري و ما إلى ذلك .

و على سبيل المثال لا الحصر ، إليكم مقتطفات من بيان الجماعة الخوجية المتستّرة ، جماعة الحزب الوطني الإشتراكي الثوري – الوطد ، التى عملنا جاهدين و لا نزال نعمل على فضح تحريفيتها – هي و غيرها من المجموعات – المعادية للشيوعية الثورية فى القطر .

ففى بيان بتاريخ 7 مارس 2013 يحمل عنوان " مات تشافيز لكنه حي فينا لن يموت " (هكذا يبدون ملكيين أكثر من الملك ! بوليفاريين أكثر من البوليفاريين أنفسهم هؤلاء مدّعي الماركسية – اللينينية !) ، نعثر على :

- " رحل ... مخلفا اللوعة والحسرة والحزن في قلوب الفنزويليين و شعوب امريكا اللاتينية وكل الاحرار في العالم ." (لاحظوا التعميم المثالي " كلّ الأحرار فى العالم " !).

- " كان تشافيز قائدا وطنيا وثوريا فذا ومقاوما عنيدا وشرسا للامبريالية والصهيونية و نصيرا للشعوب والامم المضطهدة و للقضايا العادلة " (أيّها الخوجيون المتستّرون حلّلوا سياساته الإقتصادية و الإجتماعية و إثبتوا لنا ثوريته و مقاومته الشرسة للإمبريالية و ليس فقط للإمبريالية الأمريكية ، إن إستطعتم ! و لن تستطيعوا لأنّ الواقع سيسفّه أباطيلكم هذه وسيسخر منها !).

- " لقد مكن مسار الثورة البوليفارية التي قادها تشافيز الشعب الفنزويلي من التحكم في مصيره عبر ضمان سيادته الوطنية و السيطرة على مقدراته و موارده الطبيعية الحيوية وخاصة النفط والغاز والتي وجهت لخدمة الفقراء و البائسين من ابناء الشعب المضطهد الذين تمتعوا خلال 14 سنة من حكم تشافيز بالصحة والتعليم المجانيين كافضل ما يكون وتخفيض نسبة الفقر و البطالة الى ادنى درجاتها ليتمتع الفنزوليون بخيرات بلدهم وتحقق فنزويلا طفرة اقتصادية وتنمية غير مسبوقة بعد ان كان هذا البلد يرزح تحت الفقر و البؤس في ظل الحكومات العميلة السابقة "! (عن أي ثورة تتحدّثون ؟ أين و متى وقعت ؟ لعلّكم على كوكب آخر ! " كأفضل ما يكون " ! هل نتحدّث عن فنزيولا تشافيز أم عن الإتحاد السوفياتي زمن لينين و ستالين ؟ لعلّكم أخطأتم البلد المقصود !).

- " لكنّ تشافيز لم يكتف بذلك بل اكسى الثورة البوليفارية بعدا أمميا وخطى اشواطا كبيرة على درب وحدة امريكا اللاتينية كطريق للتحرر النهائي من رقبة الاستعمار و الامبريالية " (مرحى مرحى ، تشافيز أممي ! توحيد أمريكا اللاتينية حلم بوليفار القديم " طريق للتحرّر النهائي" [هكذا النهائي!] يكسي ال" ثورة " [قالوا] البوليفارية بعد " أمميّا " ! هذه ليست مفاهيما ماركسية – لينينية ، هذا ليس موقفا شيوعيّا. إنّنا نشهد أن لينين و ماركس من هذه التفاهات براء ، براء !).

إلى هذه الخزعبلات يؤدّى فقدان بوصلة النظرية الثورية . حقّا لا "حركة شيوعية ثورية دون ماوية !".

و ما تقدّم يثير بل يفرض علينا فرضا أسئلة جمّة على رأسها سؤالين إثنين فى منتهى الأهمية :

- هل درس الجماعة الذين يدعون الماركسية - اللينينية ، وهي منهم براء ، بالعمق اللازم هذه التجربة " البوليفارية " ليطلعوا علينا بهكذا مواقف تجافي الواقع الموضوعي ؟

- هل يدرك هؤلاء الدغمائيين التحريفيين الخوجيين كنه " البوليفارية " والفروق بينها و بين الماركسية ؟

<u>2- لماذا تهلّل فرق " اليسار " الإصلاحي لهوغو تشافيز ؟</u>

ببساطة تكمن الإجابة على هذا السؤال فى كون مواقف هذه الفرق و برامجها تتقاطع إلى هذا الحدّ أو ذاك مع مواقف تشافيز و برامجه . و إن كانت هذه المجموعات تدعي تبنّى الشيوعية و إن كان تشافيز صريحا فى تبنّيه البوليفارية التى لا علاقة لها لا من قريب و لا من بعيد بالشيوعية و إنّما هي فكر برجوازي وطني ، نعثر على عدّة أوجه تقاطع بين المواقف و البرامج و مردّ ذلك أنّ الفنيزولي و الإصلاحيين التونسيين من الإصلاحيّين ، لا من الثوريّين .

<u>أ- التحوّل السلمي :</u>

كيف بلغ تشافيز السلطة فى 1998 ؟ بلغها عبر الإنتخابات إثر إستفحال أزمة دولة الإستعمار الجديد هناك و إفتضاح فساد الحكّام و تصاعد الغضب الشعبي . و هذا الطريق " السلمي " "الديمقراطي البرجوازي " لل" تداول على السلطة " على حدّ تعبير الإصلاحيين ، هو ذات الطريق الذى تدعو إليه الآن مباشرة أو بصورة غير مباشرة تقريبا جميع الفرق الإصلاحية .

<u>ب- عدم تحطيم الدولة الرجعية :</u>

لم يستهدف تشافيز أصلا و أبدا الإطاحة بالدولة الرجعية ، دولة الإستعمار الجديد بجيشها و شرطتها و محاكمها و بيروقراطيتها إلخ و تعويضها بدولة جديدة ثورية . قبل بلوغ سدّة الحكم و الرئاسة لم يسعى إلى ذلك و عند بلوغه إياها كلّ ما قام به هو إدخال بعض الإصلاحات و ترميم الدولة التى فقدت الثقة الشعبية و الشرعية . وفى هذا أيضا يلتقى تشافيز مع الإصلاحيين الذين لا يرغبون فى أكثر من العمل على ترميم الدولة الرجعية القائمة مستبعدين تماما مثله الإطاحة بها و بناء دولة جديدة عوضا عنها ، دولة تخدم مصلحة تحالف العمّال و الفلاحين و الطبقات و الفئات الشعبية الأخرى وتمارس الديمقراطية فى صفوف الشعب و الدكتاتورية ضد أعداء الشعب.

<u>ت- إنكار الطابع الطبقي للدولة :</u>

لا تشافيز و لا إصلاحيينا يعترفان بالطابع الطبقي لدولة الإستعمار الجديد ؛ كلاهما يطبلان لحياد الدولة و كأنّها جهاز فوق الطبقات أو جهاز خارج المجتمع الطبقي و ليست جهاز قمع طبقة أو طبقات لطبقة أو طبقات أخرى . لذلك لم و لن يسعيا إلى الإطاحة بها و إنّما يقبلان بالعمل فى إطارها بغاية إستعمالها و ترميمها و إصلاحها لا غير .

ث- وطنية برجوازية لا تقطع مع الإمبريالية :

وطنية الإصلاحيين تشبه وطنية تشافيز بمعنى أنّها وطنية برجوازية لا تقطع كلّيا– و ليس من الوارد لديها أن تقطع تماما – مع النظام الإمبريالي العالمي حيث تكتفي بالقطع الجزئي و أحيانا المؤقت مع دولة إمبريالية أو أخرى و تقبل بالعمل فى إطار هذا النظام العالمي مع البحث عن شروط أفضل للتعامل معه و التموقع بحيث تحقّق شيئا من المكاسب فى هذا القطاع أو ذاك أو لهذه الفئة أو تلك .

ج – إشتراكية برجوازية :

و بطبيعة الحال إشتراكية تشافيز " إشتراكية القرن 21 " شأنها شأن إشتراكية إصلاحيينا لا تعدو أن تكون إشتراكية برجوازية فغايتها و أساليبها محدّدة بالنظام الإمبريالي العالمي التى ترغب فى التواجد ضمنه ، لا القطع معه . إنّ إشتراكية الإصلاحيين البرجوازية مهما وضعت عليها من مساحيق و مهما غيّروا تسميتها أو ألصقوها بهتانا بالماركسية نقيض للإشتراكية الماركسية الحقيقية بما هي مرحلة إنتقالية بين الرأسمالية و الشيوعية تتميّز 1- إقتصاديا بكونها نمط / أسلوب إنتاج يهدف بإستمرار إلى تقليص " الحقّ البرجوازي " و معالجة التناقضات الكبرى بين العمل اليدوي و العمل الفكري ؛ و بين المدن و الأرياف ، و بين العمّال و الفلاحين ...قصد تجاوزها جميعا و تجاوز المجتمع الطبقي بأحزابه و دوله مع بلوغ الشيوعية عالميّا ، و 2- سياسيّا بسلطة البروليتاريا و ممارسة دكتاتورية / ديمقراطية البروليتاريا و ما تعنيه من ديمقراطية فى صفوف الشعب من جهة و دكتاتورية تجاه البرجوازية القديمة و الجديدة التى تنشأ فى ظلّ الإشتراكية بفعل تناقضات المجتمع الإشتراكي ذاته.

3- تجربة تشافيز " البوليفاري " إصلاحية و ليست ثورية :

أ- " اليسار " الإصلاحي و منهج التحليل المنافي للمادية الجدلية و المادية التاريخية :

بإختصار شديد لأنّ لا الوقت و لا المجال يسمحان بالتوسّع فى المسألة ، نلفت النظر إلى أنّ الخطّ التحريفي " لليسار " الإصلاحي يدفع متبنّيه ، إضافة إلى التنكّر للتحليل المادي للطبيعة الطبقية للدولة و الديمقراطية وما إلى ذلك، أوّلا ، إلى الإستخفاف بالمنهج الشيوعي فتصير تحليلاهم تعتمد المظاهر الخارجية لا الروابط الداخلية للأشياء لبلوغ الحقائق الأعمق و ثانيا، إلى إطلاق الأحكام دون دراسة الأشياء و الظواهر و السيرورات دراسة علمية مادية جدلية و ثالثا ، إلى إدارة الظهر إلى المصالح الطبقية وراء السياسات و الدعاية و التحريض .

فى قضية الحال مثلما فى الكثير من القضايا الأخرى ، يضرب تحريفيو " اليسار" الإصلاحي عرض الحائط بما علمنا إيّاه أبرز قادة البروليتاريا العالمية من ضرورة البحث و التقصّى و تحديد المصالح الطبقية ليس وراء السياسات فحسب بل وراء العبارات و المصطلحات أيضا :

- " إن المثالية و الميتافيزيقا هي الشيء الوحيد فى العالم ، الذى لا يكلف الإنسان أي جهد ، لأنها تتيح له أن يتشدّق كما يشاء دون أن يستند إلى الواقع الموضوعي و دون أن يعرض أقواله لإختبارات الواقع . أمّا المادية و الديالكتيك فهي تكلف الإنسان جهدا ، إذ أنّها تحتّم عليه أن يستند إلى اواقع الموضوعي و أن يختبر أمامه ، فإذا لم يبذل جهدا إنزلق إلى طريق المثالية و الميتافيزيقا ."

(ماو تسى تونغ ، مايو – أيار 1955 " ولاحظة على " المعلومات الخاصة بطغمة خوفنغ المعادية للثورة " ، الصفحة 223-224 من " مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ ").

- " لقد كان الناس و سيظلون أبدا ، فى حقل السياسة ، أناسا سذجا يخدعهم الآخرون ويخدعون أنفسهم ، ما لم يتعلموا إستشفاف مصالح هذه الطبقات أو تلك وراء التعابير والبيانات والوعود الأخلاقية والدينية والسياسية والإجتماعية . فإن أنصار الإصلاحات والتحسينات سيكونون أبدا عرضة لخداع المدافعين عن الأوضاع القديمة طالما لم يدركوا أن قوى هذه الطبقات السائدة أو تلك تدعم كل مؤسسة قديمة مهما ظهر فيها من بربرية و إهتراء."

(لينين ، " مصادر الماركسية الثلاثة و أقسامها المكوّنة الثلاثة ")

<u>ب- هل قطعت فنزيولا تشافيز مع النظام الإمبريالي العالمي ؟ هل أنشأت إقتصادا مستقلاّ ؟</u>

من ينكبّ على دراسة الإقتصاد الفنيزولي عن كثب يكتشف دون عناء أنّه لا يزال يعتمد على الإنتاج الواحد أي على النفط مثلما تعتمد كوبا على الإنتاج الواحد أي القصب السكّري . و هذا فى حدّ ذاته يشوّه البنية الإقتصادية و يجعل تطوّر قطاعات الإقتصاد تطوّرا غير متكافئ و غير متجانس و غير متكامل. أضف إلى ذلك أنّ فنيزيولا ظلّت تقوم بذات الدور الموكل لها فى التقسيم العالمي للعمل أي توفير المواد الأوّلية لا سيما النفط للسوق الإمبريالية العالمية .

و من هنا نستشفّ أنّه رغم جهود تشافيز للتقليص من تأثير الولايات المتحدة الأمريكية التى ، إلى حدود 2007 أي بعد زهاء العقد من مسكه للسلطة ، كان يبيعها أكثر من 60 بالمائة من نفط فنيزويلا ، و رغم سعيه لتنويع الشركاء بأمريكا اللاتينية و أوروبا و حتى بآسيا – و إن كانت تكلفة النقل باهضة – فإنّه لم يخرج عن بوتقة الدور الذى رسمته الإمبريالية لفنيزويلا فى النظام الإمبريالي العالمي شأنه فى ذلك شأن إيران التى تتشدّق بمعادات الإمبريالية عامة و الحال أنّها تبيع نفطها للقوى الإمبريالية الأوروبية و فى نهاية التحليل يربطان مصير البلدين بالسوق الإمبريالية العالمية ، و لا يقطعان معها . إذن حصلت تغيّرات كمية فى التعاطي مع تسويق النفط لكن لا وجود لقطيعة مع الإمبريالية و لا لإقتصاد مستقلّ .

<u>ت- ما موقع الصناعة و الفلاحة في مشروع تشافيز ؟</u>

يستند مشروع " البوليفاري" أساسا و تقريبا كلّيا على القطاع النفطي (مع الغاز- والفحم الحجري ثانويّا) و قد عوّل عليه فى مداخيل الدولة و ضخّ فيه و إستثمر الكثير من البترودولار من أجل أن يبقيه قطاعا منافسا عالميّا . إنّ هذا القطاع الذى يعمل وفق قوانين الرأسمالية للربح و المراكمة و المنافسة و الذى إستأثر بعناية كبيرة جدّا قطاع متطوّر نسبيّا إلاّ أنّه يشكو من المشاكل الآتي ذكرها :

1- يوجد قسط لا بأس به منه بين أيدي شركات أجنبية عالمية تابعة للبلدان الغربية .

2- يرتهن بتقلّبات أسعار سوق النفط العالمي .

3- يعتمد فى تطويره على إستثمارات محلّية لا سيما للدولة وأيضا على إستثمارات أجنبية و هو فى حاجة مستمرّة إلى التقنية التى توفّرها الإمبريالية الأمريكية على وجه الخصوص لأنّها هي المتقدّمة أكثر فى معالجة النفط الخام الفنيزويلي الثقيل و المنطوي على قدر من الكبريت.

وهو علاوة على ذلك ، ليس فى خدمة النهوض بالإقتصاد ككلّ بقدر ما هو يخلق فوارقا هائلة فى المجتمع من حيث الأجور التى يتقاضاها العاملون فيه نسبة لبقية الأجور فى القطاعات الأخرى و من حيث خلقه لبون شاسع بينه و بين تقريبا جميع القطاعات الأخرى التى عانت و لا تزال من التخلّف البيّن للعيان. و إلى هذا يضاف أنّ قطاع النفط القائم بالأساس على التقنية الحديثة المستوردة من البلدان الإمبريالية لا يشغّل عددا كبيرا من الفنزويليين .

أمّا الفلاحة فلم تنل من السياسات " البوليفارية " إلاّ النزر القليل وهي لم تشهد تغييرا نوعيّا . فبالرغم من الدعاية المضخّمة للإجراءات المتخذة فى هذا القطاع ، لم يتمتّع بإصلاح زراعي جزئي جدّا سوى 150 ألف فلاح و ظلّت اليد الطولي فى القطاع للملاكين العقاريين الكبار الذين يتحكّمون فى الأرض و ووسائل الإنتاج الأخرى و فى الإنتاج و التخزين و الترويج . و من أهمّ المؤشرات أنّ فنزويلا تستورد نسبة عالية جدّا من غذاء مواطنيها إذ هي تقتنى من السوق العالمية حوالي 70 بالمائة من حاجياتها الغذائية !

فعن أي تطوّر إقتصادي مستقلّ يتحدّثون ؟!!!

3- هل عالج تشافيز مشاكل إضطهاد الجماهير و إستغلالها ؟

لا ينبغى لأحد أن ينكر الخطوات التى خطاها " البوليفاري " سعيا لتقديم بعض الخدمات الصحّية و الغذائية للفقراء لكن هذا لم يطل جذور الإضطهاد و الإستغلال الجندري و الطبقي و القومي حيث مثلا ظلتّ النساء تعاني من دوس حقّهنّ فى الإجهاض فى فنيزويلا و ظلّت أقلّيات من السكّان تعاني التهميش و الإقتلاع من أراضيها و ظلّ العمّال و الفلاحون ضحيّة إستغلال رأسمالي إمبريالي و كمبرادوري و إقطاعي فاحشين .

و بفعل الخيارات السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية لتشافيز ساطع بقي التفاوت الجهوي مثلما ظلّ لافتا للنظر تكدّس السكّان فى المدن الكبرى لا سيما العاصمة ، فى مدن الصفيح و الأحياء القصديرية و ظلّ قطاع التجارة غير الرسمية أو الموازية ، من باعة متجوّلين و باعة على قارعة الطرقات يشغّل ما يناهز الأربعين بالمائة من اليد العاملة فى المدن .

لم يعمل تشافيز ذو المشروع " الوسطي " على مهاجمة أصحاب رؤوس الأموال و الضغوطات التى مارسها على الشركات الأجنبية عوّضها لها بطرق ملتوية كرفع نسبة الأرباح فى الشركات المشتركة مع الدولة إلخ و بالتالي حتى و إن أوجد أشكالا تنظيمية من مثل نوع من " مجالس المناطق " و " مجالس المواطنين " ...، فإنّ السلطة الإقتصادية الفعلية ظلّت بأيدي مالكي وسائل الإنتاج و المتحكّمين فى الترويج و التسويق و التشغيل و ظلّت الجماهير غريبة عن ممارسة السلطة السياسية و مسكها لمصيرها بيدها و حتى عندما أراد " البوليفاري " إدخال تعديلات دستورية عبر إستفتاء لم ينجح سنة 2007 ، فقد كانت غايته الحصول على مزيد السلطات كرئيس و الضغط على " الموالين للأمريكان " فى أجهزة الدولة ، لا أكثر .

إنّ " إشتراكية القرن 21 " البوليفارية الهلامية المضمون ليست سوى بعض التأميمات و الخدمات و الإعانات الوقتية لقسم من المعدمين تكبر و تصغر حسب ما تسمح به السوق العالمية و حاجيات الإنفاق على القطاع النفطي و تطويره لكي لا يتأخّر و يخسر المنافسة الرأسمالية عالميّا .

و هذا ليس بالأمر الغريب من أنظمة البترودولار التى تسير وفق القوانين الرأسمالية فلا إيران و نفطها و لا نيجيريا و ثرواتها النفطية و لا فنيزويلا و نفطها و غازها و فحمها الحجري يناهضون الرأسمالية و قوانينها . إنّها دول نفطية لها دور فى التقسيم الإمبريالي العالمي للعمل تقبل به ولا تبحث عن خدمة مصالح الجماهير الشعبية الآنية و البعيدة المدى و لا تسيّر الإقتصاد بإتجاه تلبية الحاجيات الأساسية للشعب ماديّا و فكريّا إلخ و لا تضع مخطّطات لذلك . و ليس بوسعها القيام بذلك إذ هي دول إستعمار جديد مرتبطة بألف خيط و خيط و هيكليّا بالنظام الإمبريالي العالمي و الرجعيات المحلّية .

4- لا بديل لتحرير المستعمرات و المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات تحريرا وطنيّا ديمقراطيّا عن الثورة الديمقراطية الجديدة بقيادة شيوعية و كجزء من الثورة البروليتاريةالعالمية :

أ- عصر الإمبريالية و الثورة الإشتراكية و مقتضياته :

فى هذا العصر بالذات ، فى المستعمرات و المستعمرات الجديدة و أشباه المستعمرات ، تبخّرت إمكانية قيام ثورة ديمقراطية على نمط الثورة الديمقراطية التى شهدتها أوروبا فى القرن 18و لا إمكانية بالتالي لتطوّر رأسمالي مستقلّ و قد شرحنا مطوّلا فى مقالات أخرى و مناسبات مضت الأسباب و التطوّر الرأسمالي الذى لا يزال ممكنا هو التطوّر الرأسمالي البيروقراطي / الكمبرادوري المرتبط عضويّا بالإمبريالية العالمية و المتحالف معها . إنّ الثورة الديمقراطية القديمة غدت مستحيلة و الحلّ الوحيد للتحرّر الوطني الديمقراطي هو الثورة الديمقراطية الجديدة بقيادة شيوعية و كجزء من الثورة البروليتارية العالمية تمهّد الطريق للثورة الإشتراكية فالشيوعية . و نأكّد مجدّدا أنّه لا إمكانية للفصل بين مسألتي الثورة الديمقراطية الجديدة المتداخلتين . فالثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية ثورة تحرّر وطني و ثورة إجتماعية فى آن معا . و واهم من يتصوّر إمكانية حصول الواحدة دون الأخرى فى عصرنا هذا .

مشروع تشافيز " الوسطي " تصوّر تحقيق التحرّر الوطني دون الثورة الإجتماعية ففشل . و مشاريع إصلاحيينا تصوّرت هي الأخرى تحقيق " المجتمع الديمقراطي " دون ثورة التحرّر الوطني وهي تمرّ من فشل لآخر و الوقائع تفنّد المرّة تلو المرّة تنظيراتهم و لكنهم لا يدركون الحقائق الموضوعية إذ أعماهم خطّهم الإصلاحي .

و واهم من يتصور نجاح ثورة التحرّر الوطني الديمقراطي / الديمقراطية الجديدة دون قيادة الطبقة العاملة و حزبها و نظريتها الثورية و منذ عقود سجّل ماو تسى تونغ هذه الحقيقة قائلا :

- " يجب أن يكون هناك حزب ثوري ما دمنا نريد الثورة "

(الصفحة 1 من " مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ ") .

- " إنّ الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية تتطلّب قيادة الطبقة العاملة ، لأنّها هي الطبقة الوحيدة النافذة البصيرة، و أكثر الطبقات إنكارا للذات، كما أنّها أكثر الطبقات حزما فى الثورة . و يبرهن تاريخ الثورات بأكمله على أنّ الثورة تفشل إذا كانت بدون قيادة الطبقة العاملة و أنّها تنتصر إذا قادتها هذه الطبقة . و فى عصر الإمبريالية ، لا يمكن لأية طبقة أخرى ، فى أي بلد كان أن تقود أية ثورة إلى النصر ."

(ماو تسى تونغ ، " حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية " ،1949 ، صفحة 532-533 من المجلّد الرابع من " مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " ، الطبعة العربية ، دار النشر باللغات الأجنبية بيكين 1973) .

ب- المنارات الشيوعية تاريخيا و راهنا و مستقبلا :

يتغاضى التحريفيون بما هم ماركسيّون مزيفون لا يفرّقون بين الماركسية و الديمقراطية البرجوازية و بين الإشتراكية و الرأسمالية عن الدعاية للمنارات الشيوعية التاريخية – تجارب البروليتاريا العالمية فى الإتحاد السوفياتي زمن لينين و ستالين و فى الصين زمن ماو تسى تونغ – و يتجاهلونها كإرث ثوري بروليتاري كما يتجاهلون راهنا المنارات الشيوعية فى الهند و الفليبين و قبلهما فى النيبال و البيرو فى فترات معينة و الحروب الشعبية التى تخاض و السلطة الحمراء التى ترسى على كلّ شبر من الأرض المحرّرة و يتهافتون على إعلاء راية " البوليفارية " فى الوقت الذى يدعون فيه زورا و بهتانا لتضليل الجماهير و المناضلين و المناضلات أنّهم ماركسيون – لينينيون .

عالم آخر ممكن ، عالم آخر شيوعي ممكن ، عالم آخر يشهد مخاضا و قد يضع جنينه فى الهند أو فى الفليبين أو غيرها من البلدان التى تشهد فيها النضالات الثورية تقدّما بقيادة شيوعية ثورية ؛ بذور المستقبل ، المنارات الشيوعية المستقبلية ، يزرعها فى كوكبنا الشيوعيون الثوريون ، يسقيها و يرعاها و يفديها بتضحياتهم و دمائهم الماويون الحقيقيون عبر العالم و قريبا تنبت. وعوض أن يضع " اليساريون" هذه التجارب الثورية نصب أعينهم و يجعلوها محطّ أنظارهم يدرسونها و يستلهمون منها الدروس و يستخلصون منها العبر و يدعمونها بما أوتوا من جهد ، نلفي " اليساريين " الإصلاحيين يركّزون أنظارهم و أنظار الجماهير على التجارب الإصلاحية للبرجوازية الوطنية و البرجوازية الصغيرة الراديكالية . و لا غرابة فى ذلك فالطيور على أشكالها تقع و الإصلاحيون لأشكالهم يروّجون !

خاتمة :

واجب على الشيوعيين الثوريين الحقيقيين ، على الشيوعيين الماويين الحقيقيين بل من أوكد واجباتهم أن يفضحوا التحريفية بتلوناتها جميعها و أن يفضحوا الإصلاحية و التجارب البرجوازية . على الشيوعيين أن ينشروا الأفكار و المبادئ الشيوعية ، لا الأفكار و الأوهام البرجوازية .

لا جدال فى أنّه من واجب الشيوعيين النضال ضد أي تدخّل إمبريالي فى فنزويلا و غيرها من البلدان مدافعين بإستماتة عن مبدأ حقّ الشعوب فى تقرير مصيرها . إلاّ أنّه يترتّب عليهم نشر الحقائق الموضوعية و فى موضوع الحال نشر حقيقة المشروع " البوليفاري " لتشافيز و حدوده بما هو مشروع برجوازي رأسمالي وطني ، " وسطي " يلقى مساندة من البرجوازية الصغيرة الراديكالية و لا يقطع مع الإمبريالية و لا يعالج بالعمق المطلوب قضايا الثورة الوطنية الديمقراطية / الديمقراطية الجديدة و لا يمهّد للإشتراكية البروليتارية . مشروع تشافيز لا يرتقى حتى إلى شعار " أرض حرّية كرامة وطنية " فلا " أرض لمن يفلحها " و لا حرّية سياسية – كل معارضة يمينية أو يسارية تنعت بالعمالة لأمريكا - و لا تحرّر من الإمبريالية و قطع معها و لا كرامة وطنية حيث يرتهن الإقتصاد بتقلبات السوق الإمبريالية العالمية و الشعب يتغذي من وراء البحار . و مشروع " إشتراكية القرن 21 " أقرب ما تكون إلى إشتراكية برجوازية ، إلى إشتراكية الإشتراكيين الديمقراطيين فى أوروبا و إشتراكية القذافى و عبد الناصر !

وحدها الشيوعية الثورية ، وحدها الماركسية – اللينينية – الماوية (علم الثورة البروليتارية العالمية) قادرة على معالجة مشاكل كوكبنا و تحرير لا فقط العمّال و النساء بل تحرير الإنسانية جمعاء !

إنتهى العدد 13 من " لاحركة شيوعية ثورية دون ماوية ! "

==